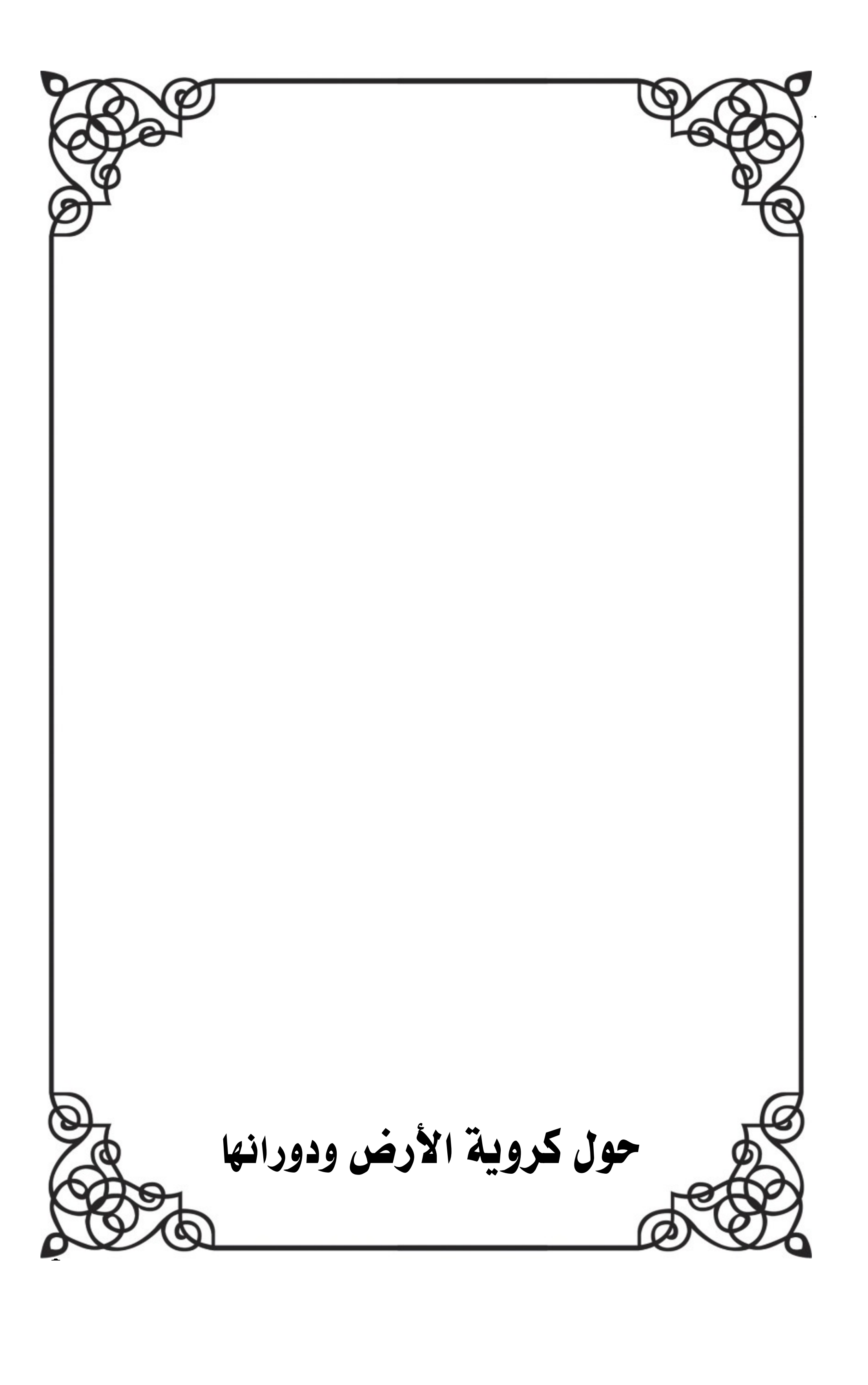
حول كروية الأرض ودورانها

بحث شرعي مدعوم بالأدلة

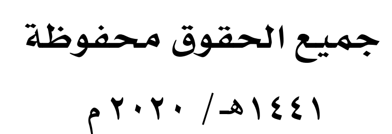


تبصير
للنشر والتوزيع
تقريب التراث
والرد على الشبهات

تأليف
مصطفى حسين عوض



حول كروية الأرض ودورانها



١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠ م

اسم الكتاب: حول كروية الأرض ودورانها
اسم المؤلف: مصطفى حسين عوض
الطبعة الأولى: ١٤٣٩ هـ/ ٢٠١٧ م
الطبعة الثانية: ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠ م
مقاس الكتاب: ١٧ × ٢٤
عدد الصفحات: ١٤٤ صفحة
رقم الإيداع: ٧٨٤١/ ٢٠١٩م
الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٦٧١٣-٠٤-٨



تقريب التراث
والرد على الشبهات

العنوان : 3 شارع مسجد الفرقان – القناطر الخيرية – القليوبية – جمهورية مصر العربية
التليفون : 01019757010 – 01102260020
Fb: @tbseir
twitter : @tabseir
website : http://tbseir.com
Email : tabseir@gmail.com

حول كروية الأرض ودورانها

بحث شرعي مدعوم بالأدلة

تأليف
مصطفى حسين عوض





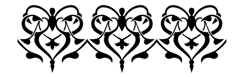

قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

[الأنبياء: ٣٠ - ٣٤]



الفهرست



مقدمة الطبعة الثانية

باسم الله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه. أما قبل:

فإنه من أعظم النعم أن ينشغل المرء بما ينفع المسلمين، لا سيما فيما يخص دين الإسلام العظيم، ويبقىٰ عليه عبء تصحيح النية وتنقية القصد مما يشوبه، بل مما يفسده؛ فإن ربنا سبحانه أغنىٰ الشركاء عن الشرك، وإذا ما قال سفيان الثوري - رضوان الله عليه -: «ما عالجت شيئًا أشد علي من نيتي؛ لأنها تتقلب عليَّ» فما عسىٰ مثلي يقول؟! فالله وحده هو المسئول أن يعيننا علىٰ إصلاح نياتنا وتصحيح قصدنا.

أما بعد:

فهذه - بفضل الله وحده - هي الطبعة الثانية من كتاب «حول كروية الأرض ودورانها»، وقد لاقت الطبعة الأولىٰ - بفضل الله -

استحسان كثير من المتخصصين الذين اطلعوا عليها، غير أن ثمة تتمة كان ينبغي زيادتها؛ فتم ذلك بفضل الله في هذه الطبعة المزيدة والمنقحة، ومن ذلك ما يخص حديث: «**أتدري أين تذهب الشمس؟**»، وكذلك ما يخص مزاعم الملاحدة والمُنصِّرين حول قوله تعالىٰ: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، فقمت بزيادة فصلين؛ لبحث ما كان ينبغي بحثه في الطبعة الأولىٰ، عسىٰ الله أن ينفع بهذا الكتاب من يقرؤه، ويجعله قاطعًا لطريق كل ملحد ومُنصِّر ومتقول علىٰ دين الإسلام العظيم.

وكتب

مصطفى حسين آل عوض

عفا الله عنه وعن والديه

وبارك له في ذريته وأهله

آمين

عشاء الأربعاء ٢١ من ربيع الآخر ١٤٤١

الموافق ١٨ ديسمبر ٢٠١٩ م



مقدمة الطبعة الأولى

الإسلام هو دين الله هو الدين الخاتم، وهو الدين المحفوظ بحفظ الله له؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال الإمام السعدي ﷺ «تفسيره»:

«﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩]؛ أي: القرآن الذي فيه ذكرىٰ لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله؛ ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله صلىٰ الله عليه وسلم ، وحفظه فيه، ثم في قلوب أمته، فحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل؛ فلا يحرف محرف معنًىٰ من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه علىٰ عباده المؤمنين، ومن حفظه: أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يجتاحهم» اهـ.

فلما كان الدين محفوظًا بحفظ الله للقرآن الكريم وللسنة؛ إذ هي داخلة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فهي من الذكر المنزل؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا يقول عنها - أي: عن السنة النبوية الشريفة -: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٣ - ٥].

فلما كان الدين محفوظًا كتابًا وسنةً؛ كان كل ما جاء صحيحًا ثابتًا فيه حقًّا لا باطل فيه.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وإذن فمهما قيل لك: إن القرآن فيه تناقض أو مخالفة للأمور العقلية المقطوع بصحتها؛ فلا تصدق ذلك، وقائل هذا الكلام كاذب بلا شك، سواءً كان يكذب وهو يعلم أنه كاذب، أو كان جاهلًا ينقل الكذب دون فهم ولا دراية.

لأن الله جَلَّ وَعَلَا منزل القرآن الكريم هو خالق العقول، وكلامه

جَلَّ وَعَلَا لا يتناقض مع صحيح خلقه؛ فصريح الدين لا يتعارض مع صحيح العقل.

وسنوضح في فصول الكتاب معنىٰ «صريح الدين»، ومعنىٰ «الأمور العقلية القطعية»، وكذلك «الشرعية القطعية»، و«الشرعية الظنية».

وسيكون فيها - أي: في فصول الكتاب - رد علىٰ من زعم أن دين الإسلام يقول بثبات الأرض قولًا واحدًا، وأن من قال بخلاف ذلك؛ فهو يخالف دين الإسلام، وعليه فهو كافر!! إلىٰ غير ذلك مما يثيره الملاحدة الضلال، ومن لم يبحث المسألة بحثًا صحيحًا من عوام المسلمين.

فالله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله في ميزان حسناتنا، إنه نعم من سئل ونعم من أجاب، وصلىٰ الله وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

المؤلف



فصل في الفرق

بين تقديس الدليل وتقديس أقوال الأئمة

إن الجهل بالفارق بين كلام الرب جَلَّ وَعَلَا وكلام نبيه ﷺ من جهة، وكلام الأئمة والفقهاء المفسرين للقرآن الشارحين للسنة من جهة أخرىٰ؛ لجهل فاضح، يؤدي إلىٰ كبير خلل في تطبيق دين الإسلام العظيم في دنيا الله رب العالمين.

فكلام الله جَلَّ وَعَلَا وما صح من كلام نبيه ﷺ هما ما نزل فيهما قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم: ٢ - ٥].

وأما قول الأئمة والفقهاء: فإنه لو خالف ما جاء في كتاب الله أو ما جاء صحيحًا من كلام رسول الله ﷺ؛ فإنه حالة إذن قد نزل فيه مثل

قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

قال الحافظ ابن كثير - رحمة الله عليه - في تفسيره لهذه الآية:

«**ثم قال تعالىٰ مخاطبًا للعالم**: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾؛ أي: اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾؛ أي: لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلىٰ غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلىٰ حكم غيره.

﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢﴾؛ كقوله: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقوله: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقوله: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]».

وقال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية:

«ثم خاطب الله العباد، وألفتهم إلىٰ الكتاب؛ فقال: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ

إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾؛ أي: الكتاب الذي أريد إنزاله لأجلكم؛ وهو: ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ الذي يريد أن يتم تربيته لكم، فأنزل عليكم هذا الكتاب الذي إن اتبعتموه؛ كملت تربيتكم، وتمت عليكم النعمة، وهديتم لأحسن الأعمال والأخلاق ومعاليها، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾؛ أي: تتولونهم، وتتبعون أهواءهم، وتتركون لأجلها الحق.

﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢﴾ فلو تذكرتم وعرفتم المصلحة، لما آثرتم الضار على النافع، والعدو على الولي».

وأما أئمة الدين وفقهاء الملة فليسوا أئمةً مضلين، وإنما هم أنفسهم يحذرون من اتباع أقوالهم إذا ما خالفت قول الله عَزَّوَجَلَّ أو قول رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد جمعت أقوالهم في هذه المنظومة الرائعة:

وقول أعلام الهدى لا يعمل	**بقولنا بدون نص يقبل**
فيه دليل الأخذ بالحديث	**وذاك في القديم والحديث**
قال أبو حنيفة الإمام	**لا ينبغي لمن له إسلام**

أخذ بأقوالي حتىٰ تعرضا ... علىٰ الحديث والكتاب المرتضىٰ

ومالك إمام دار الهجرة ... قال وقد أشار نحو الحجرة

كل كلام منه ذو قبول ... ومنه مردود سوىٰ الرسول

والشافعي قال إن رأيتم ... قولي مخالفًا لما رويتم

من الحديث فاضربوا الجدارا ... بقولي المخالف الأخبارا

وأحمد قال لهم لا تكتبوا ... ما قلته بل أصل ذاك فاطلبوا

فاسمع مقالات الهداة الأربعه ... واعمل بها فإن فيها منفعه

لقمعها لكل ذي تعصب ... والمنصفون يكتفون بالنبي

صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم.

إذن؛ فالواجب علىٰ العبد ألا يتعصب إلا للكتاب والسنة، فإن كان مقلدًا؛ فليتزم من يقلد من أئمة الهدىٰ، وليعرف أنه ما زال مقلدًا، وإن كان مجتهدًا؛ فلينتصر للدليل فقط.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله عليه - في آخر جواب له على سؤال:

«ولا يجوز لأحد أن يرجح قولًا علىٰ قول بغير دليل، ولا يتعصب

لقول علىٰ قول ولا قائل علىٰ قائل بغير حجة؛ بل من كان مقلدًا لزم حكم التقليد؛ فلم يرجح، ولم يزيف، ولم يصوب، ولم يخطئ. ومن كان عنده من العلم والبيان ما يقوله سمع ذلك منه؛ فقبل ما تبين أنه حق، ورد ما تبين أنه باطل، ووقف ما لم يتبين فيه أحد الأمرين.

والله تعالىٰ قد فاوت بين الناس في قوىٰ الأذهان كما فاوت بينهم في قوىٰ الأبدان، وهذه المسألة ونحوها فيها من أغوار الفقه وحقائقه ما لا يعرفه إلا من عرف أقاويل العلماء ومآخذهم، فأما من لم يعرف إلا قول عالم واحد وحجته دون قول العالم الآخر وحجته؛ فإنه من العوام المقلدين؛ لا من العلماء الذين يرجحون ويزيفون. والله تعالىٰ يهدينا وإخواننا لما يحبه ويرضاه، وبالله التوفيق، والله أعلم»[١].

❁ وقال أيضًا - رحمة الله عليه - كما في «مجموع الفتاوى» -:

«ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقين؛ فهو بمنزلة من تعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقين.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ٢٢٣).

كالرافضي الذي يتعصب لعلي دون الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة، وكالخارجي الذي يقدح في عثمان وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فهذه طرق أهل البدع والأهواء الذين ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أنهم مذمومون خارجون عن الشريعة والمنهاج الذي بعث الله به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمن تعصب لواحد من الأئمة بعينه ففيه شبه من هؤلاء، سواءٌ تعصب لمالك أو الشافعي أو أبي حنيفة أو أحمد أو غيرهم.

ثم غاية المتعصب لواحد منهم أن يكون جاهلًا بقدره في العلم والدين وبقدر الآخرين؛ فيكون جاهلًا ظالمًا، والله يأمر بالعلم والعدل، وينهىٰ عن الجهل والظلم.

قال تعالىٰ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣] إلىٰ آخر السورة.

وهذا أبو يوسف ومحمد، أتبع الناس لأبي حنيفة وأعلمهم بقوله، وهما قد خالفاه في مسائل لا تكاد تحصىٰ؛ لما تبين لهما من السنة

والحجة ما وجب عليهما اتباعه، وهما مع ذلك معظمان لإمامهما.

لا يقال فيهما: مذبذبان؛ بل أبو حنيفة وغيره من الأئمة يقول القول ثم تتبين له الحجة في خلافه؛ فيقول بها، ولا يقال له: مذبذب؛ فإن الإنسان لا يزال يطلب العلم والإيمان، فإذا تبين له من العلم ما كان خافيًا عليه اتبعه، وليس هذا مذبذبًا؛ بل هذا مهتد زاده الله هدًىٰ.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤].

فالواجب علىٰ كل مؤمن موالاة المؤمنين وعلماء المؤمنين، وأن يقصد الحق ويتبعه حيث وجده، ويعلم أن من اجتهد منهم فأصاب؛ فله أجران، ومن اجتهد منهم فأخطأ؛ فله أجر لاجتهاده، وخطؤه مغفور له.

وعلىٰ المؤمنين أن يتبعوا إمامهم إذا فعل ما يسوغ؛ فإن النبي ﷺ قال: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به**»، وسواء رفع يديه أو لم يرفع يديه، لا يقدح ذلك في صلاتهم ولا يبطلها؛ لا عند أبي حنيفة ولا الشافعي ولا مالك ولا أحمد... وليس لأحد أن يتخذ قول بعض العلماء شعارًا

يوجب اتباعه، وينهىٰ عن غيره مما جاءت به السنة؛ بل كل ما جاءت به السنة فهو واسع؛ مثل الأذان والإقامة.

فقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ: «أنه أمر بلالًا أن يشفع الأذان، ويوتر الإقامة». وثبت عنه في «الصحيحين»: «أنه علم أبا محذورة الإقامة شفعًا شفعًا؛ كالأذان»؛ فمن شفع الإقامة فقد أحسن، ومن أفردها فقد أحسن، ومن أوجب هذا دون هذا؛ فهو مخطئ ضال، ومن والىٰ من يفعل هذا دون هذا بمجرد ذلك؛ فهو مخطئ ضال.

وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتر عليها: كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها، حتىٰ تجد المنتسب إلىٰ الشافعي يتعصب لمذهبه علىٰ مذهب أبي حنيفة حتىٰ يخرج عن الدين، والمنتسب إلىٰ أبي حنيفة يتعصب لمذهبه علىٰ مذهب الشافعي وغيره حتىٰ يخرج عن الدين، والمنتسب إلىٰ أحمد يتعصب لمذهبه علىٰ مذهب هذا أو هذا.

وفي المغرب تجد المنتسب إلىٰ مالك يتعصب لمذهبه علىٰ هذا أو هذا. وكل هذا من التفرق والاختلاف الذي نهىٰ الله ورسوله عنه.

وكل هؤلاء المتعصبين بالباطل، المتبعين الظن وما تهوىٰ الأنفس، المتبعين لأهوائهم بغير هدًىٰ من الله؛ مستحقون للذم والعقاب»[1].

❁ وقد سئل العلامة صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان:

هل يجوز التعصب المذهبي الذي يقتدي به الإنسان في أي حكم من أحكام الشريعة، حتىٰ لو كان في هذا مخالفة للصواب؟ أم يجوز تركه والاقتداء بالمذهب الصحيح في بعض الحالات؟ وما حكم لزوم مذهب واحد فقط؟

فأجاب - حفظه الله تعالى -:

«الذي عنده القدرة علىٰ الاجتهاد المطلق لا يجوز له التقليد، والذي لا يقدر يقلد من هو أعلم منه، والتمذهب بمذهب واحد من المذاهب الأربعة المعروفة التي بقيت وحفظت وحررت بين المسلمين، والانتساب إلىٰ مذهب منها؛ لا مانع منه، فيقال: فلان شافعي، وفلان حنبلي، وفلان حنفي، وفلان مالكي. ولا زال هذا

(١) «مجموع الفتاوىٰ»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢/ ٢٥٢-٢٥٤).

اللقب موجودًا من قديم بين العلماء، حتىٰ كبار العلماء، يقال مثلًا: ابن تيمية الحنبلي، وابن القيم الحنبلي، وما أشبه ذلك، ولا حرج في ذلك.

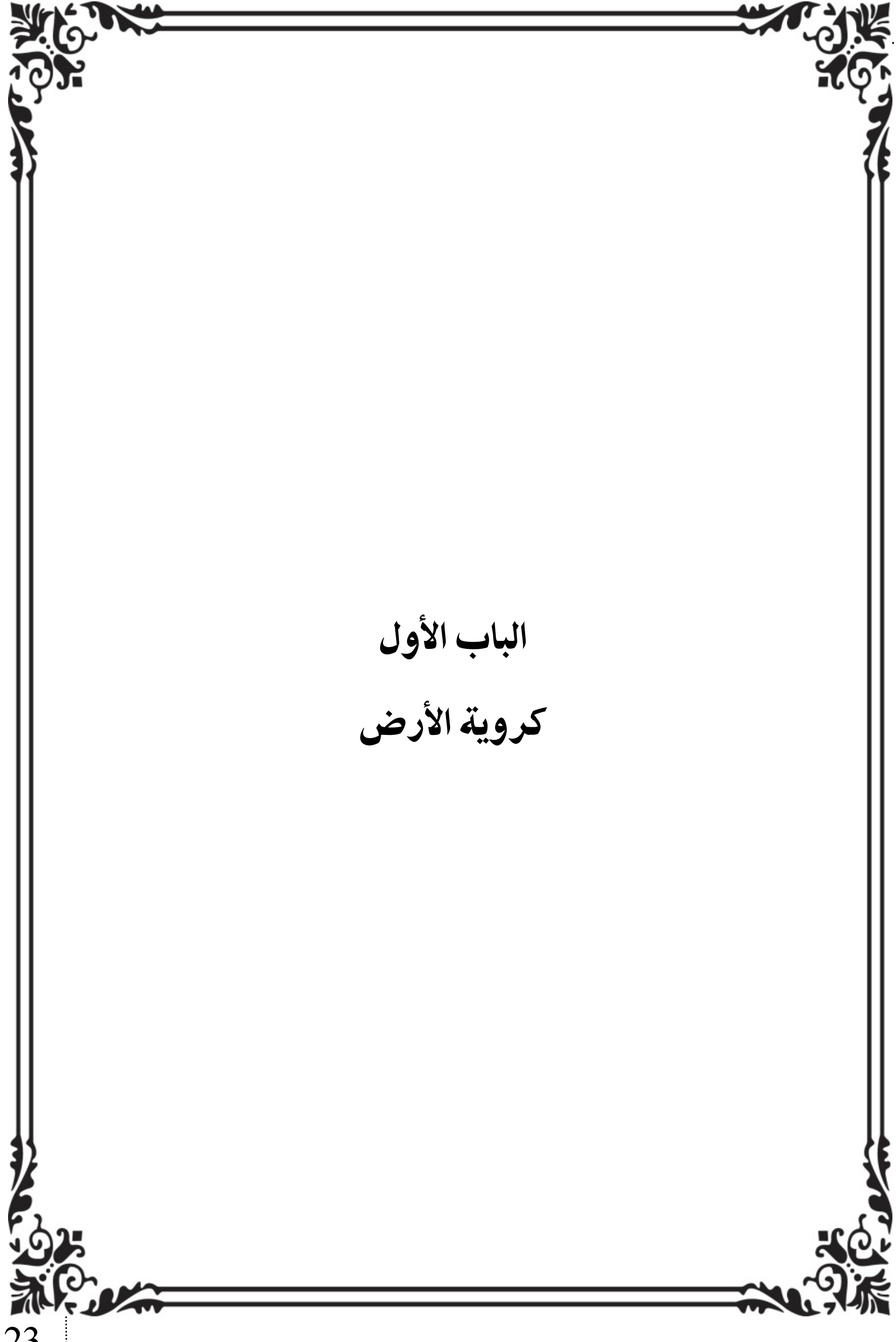
ومجرد الانتماء إلىٰ المذهب لا مانع منه، لكن بشرط أن لا يتقيد بهذا المذهب فيأخذ كل ما به سواءً كان صوابًا أو خطأً، بل يأخذ منه ما كان صوابًا، وما علم أنه خطأ لا يجوز له العمل به، وإذا ظهر له القول الراجح؛ فإنه يجب عليه أن يأخذ به، سواءً كان في مذهبه الذي ينتسب إليه أو في مذهب آخر؛ لأن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد.

فالقدوة هو رسول الله ﷺ؛ فنحن نأخذ بالمذهب ما لم يخالف قول الرسول ﷺ؛ فإذا خالفه يجب علينا أن نتركه، وأن نأخذ بالسنة، ونأخذ بالقول الراجح المطابق للسنة من أي مذهب كان من مذاهب المجتهدين، أما الذي يأخذ بقول الإمام مطلقًا سواءً كان خطأً أو صوابًا؛ يعتبر تقليدًا أعمىٰ، وإذا كان يرىٰ أنه يجب تقليد إنسان معين غير الرسول ﷺ؛ فهذا ردة عن الإسلام، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«من قال: إنه يجب تقليد شخص بعينه غير رسول الله ﷺ؛ فهذا يستتاب، فإن تاب وإلا قتل»؛ لأنه لا أحد يجب اتباعه إلا محمد ﷺ، أما ما عداه من الأئمة المجتهدين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ فنحن نأخذ بأقوالهم الموافقة للسنة، أما إذا أخطأ المجتهد في اجتهاده؛ فإنه يحرم علينا أن نأخذ بالخطأ» اهـ.

وخلاصة ما مر: أننا لا نتعصب إلا للقرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة وما وافقهما من كلام الأئمة الأعلام، وأما ما كان مرجوحًا فلا نتعصب له، وإنما نقدم عليه ما رجح في هذه المسألة، والله أعلم.





الباب الأول

كروية الأرض

فصل حول كروية الأرض

بدايةً أود أن أقول: إن كروية الأرض مسألة يثيرها من يثيرها من الملاحدة وغيرهم ممن يحارب الدين، لا بحثًا عن الحق ومحاربةً للباطل، وإنما محاربةً للحق ونشرًا للباطل؛ بتزييف الحق ووصفه بما ليس فيه.

فالقرآن الكريم هو كتاب الله المعصوم، المنزل علىٰ نبيه محمد ﷺ؛ وهو كتاب هداية وإرشاد، وبيان للعقائد والشرائع والمعاملات، وفيه قصص الأولين وموعظة للآخرين، ونور وهدًىٰ للعالمين، وليس كتاب فلك أو علوم أو ما أشبه، نعم؛ كل ما ورد فيه حق، ولو كان يخص العلوم المادية، إلا أننا غير مطالبين باستخراج كل ما توصلت إليه العلوم من كتاب الله جَلَّ وَعَلَا، أو من سنة رسول الله ﷺ.

❁ ونعود إلى ما يثيره الملاحدة ومن على شاكلتهم حول مسألة كروية الأرض من حيث قول الإسلام فيها:

بدايةً نقول: إن كان أهل مكة أدرىٰ الناس بشعابها، فعلماء الإسلام هم أدرىٰ الناس بالإسلام، وأعلم الناس بمعاني كتاب الله جَلَّوَعَلَا، وسنة نبيه ﷺ.

﴿ **وهذه فتاوى ونقولات عن أئمة دين الإسلام العظيم حول مسألة كروية الأرض:**

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عن رجلين تنازعا في «كيفية السماء والأرض»؛ هل هما «جسمان كرويان»؟ فقال أحدهما: كرويان. وأنكر الآخر هذه المقالة، وقال: ليس لها أصل. وردها؛ فما الصواب؟

فأجاب:

«السموات مستديرة عند علماء المسلمين، وقد حكىٰ إجماع المسلمين علىٰ ذلك غير واحد من العلماء أئمة الإسلام: مثل أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي، أحد الأعيان الكبار من الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد، وله نحو أربعمائة مصنف.

وحكىٰ الإجماع علىٰ ذلك الإمام أبو محمد بن حزم، وأبو الفرج بن الجوزي، ورویٰ العلماء ذلك بالأسانيد المعروفة عن الصحابة والتابعين، وذكروا ذلك من كتاب الله وسنة رسوله، وبسطوا القول في ذلك بالدلائل السمعية.

وإن كان قد أقيم علىٰ ذلك أيضًا دلائل حسابية.

ولا أعلم في علماء المسلمين المعروفين من أنكر ذلك، إلا فرقة يسيرة من أهل الجدل، لما ناظروا المنجمين فأفسدوا عليهم فاسد مذهبهم في الأحوال والتأثير؛ خلطوا الكلام معهم بالمناظرة في الحساب، وقالوا علىٰ سبيل التجويز: يجوز أن تكون مربعةً أو مسدسةً أو غير ذلك. ولم ينفوا أن تكون مستديرةً، لكن جوزوا ضد ذلك.

وما علمت من قال: إنها غير مستديرة - وجزم بذلك - إلا من لا يؤبه له من الجهال.

[الأدلة الشرعية من كتاب الله جَلَّوَعَلَا وأقوال الصحابة علىٰ كروية الأرض]:

ومن الأدلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

قال ابن عباس وغيره من السلف: في فلكة مثل فلكة المغزل.

وهذا صريح بالاستدارة والدوران، وأصل ذلك: أن «الفلك» في اللغة: هو الشيء المستدير؛ يقال: تفلك ثدي الجارية؛ إذا استدار، ويقال: لفلكة المغزل المستديرة: فلكة؛ لاستدارتها.

فقد اتفق أهل التفسير واللغة على أن «الفلك» هو المستدير.

والمعرفة لمعاني كتاب الله إنما تؤخذ من هذين الطريقين: من أهل التفسير الموثوق بهم من السلف، ومن اللغة التي نزل القرآن بها؛ وهي لغة العرب.

وقال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الزمر: ٥].

قالوا: و«التكوير»: التدوير؛ يقال: كورت العمامة وكورتها: إذا دورتها، ويقال للمستدير: كارة، وأصله «كورة»، تحركت الواو وانفتح ما قبلها؛ فقلبت ألفًا.

ويقال أيضًا: «كرة»، وأصله «كورة»، وإنما حذفت عين الكلمة كما قيل في ثبة وقلة.

والليل والنهار، وسائر أحوال الزمان تابعة للحركة؛ فإن الزمان مقدار الحركة؛ والحركة قائمة بالجسم المتحرك، فإذا كان الزمان التابع للحركة التابعة للجسم موصوفًا بالاستدارة؛ كان الجسم أولىٰ بالاستدارة.

وقال تعالىٰ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

وليس في السماء إلا أجسام ما هو متشابه - فأما التثليث والتربيع والتخميس والتسديس وغير ذلك: ففيها تفاوت واختلاف بالزوايا والأضلاع - لا خلاف فيه ولا تفاوت؛ إذ الاستدارة التي هي الجوانب.

وفي الحديث المشهور في «سنن أبي داود» وغيره: عن جبير بن مطعم: أن أعرابيا جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وهلك المال، وجاع العيال، فاستسق لنا؛ فإنا نستشفع بالله عليك، ونستشفع بك علىٰ الله. فسبح رسول الله ﷺ حتىٰ عرف ذلك في وجوه أصحابه، وقال: «**ويحك! إن الله لا يستشفع به علىٰ أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، إن عرشه علىٰ سمواته هكذا** - وقال بيده مثل القبة -، **وأنه يئط به أطيط الرحل الجديد براكبه**».

فأخبر النبي ﷺ أن العرش علىٰ السموات مثل القبة، وهذا إشارة إلىٰ العلو والإدارة.

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ قال: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس؛ فإنه أعلىٰ الجنة وأوسط الجنة، وسقفه عرش الرحمن»، والأوسط لا يكون أوسط إلا في المستدير.

وقد قال إياس بن معاوية: السماء علىٰ الأرض مثل القبة.

والآثار في ذلك لا تحتملها الفتوىٰ، وإنما كتبت هذا علىٰ

عجل» اهـ[١].

❁ **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله عليه - في «مجموع الفتاوى» أيضًا:**

«وقال الإمام أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي، من أعيان العلماء المشهورين بمعرفة الآثار والتصانيف الكبار في فنون العلوم الدينية، من الطبقة الثانية من أصحاب أحمد: **لا خلاف بين العلماء أن السماء علىٰ مثال الكرة، وأنها تدور بجميع ما فيها من الكواكب؛ كدورة الكرة، علىٰ قطبين ثابتين غير متحركين: أحدهما في ناحية الشمال، والآخر في ناحية الجنوب.**

قال: ويدل علىٰ ذلك: أن الكواكب جميعها تدور من المشرق، تقع قليلًا علىٰ ترتيب واحد في حركاتها ومقادير أجزائها، إلىٰ أن تتوسط السماء، ثم تنحدر علىٰ ذلك الترتيب، كأنها ثابتة في كرة تديرها جميعها دورًا واحدًا.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ٥٨٦-٥٨٩).

قال: وكذلك أجمعوا علىٰ أن الأرض بجميع حركاتها من البر والبحر مثل الكرة.

قال: ويدل عليه: أن الشمس والقمر والكواكب لا يوجد طلوعها وغروبها علىٰ جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد، بل علىٰ المشرق قبل المغرب» اهـ[١].

قال الإمام ابن حزم في «الفصل في الملل والأهواء والنحل»:

«مطلبٌ: بيان كروية الأرض:

قال أبو محمد: وهذا حين نأخذ – إن شاء الله تعالىٰ – في ذكر بعض ما اعترضوا به؛ وذلك أنهم قالوا: إن البراهين قد صحت بأن الأرض كروية، والعامة تقول غير ذلك.

وجوابنا – وبالله تعالىٰ التوفيق –: إن أحدًا من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، لم ينكروا تكوير الأرض، ولا يحفظ لأحد منهم في دفعه كلمة.

(١) «مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/ ١٩٥).

﴿ بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الزمر: ٥]، وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها علىٰ بعض، مأخوذ من كور العمامة؛ وهو إدارتها، وهذا نص علىٰ تكوير الأرض ودوران الشمس كذلك، وهي التي منها يكون ضوء النهار بإشراقها وظلمة الليل بمغيبها، وهي آية النهار بنص القرآن؛ قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الإسراء: ١٢]» اهـ[١].

﴿ وأما الشيخ العلامة ابن عثيمين - رحمة الله عليه - فيجيب على السؤال التالي بما يلي:

كيف نجاوب من سألنا عن كروية الأرض من الدين؟

الجواب:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، للإمام ابن حزم (صحيفة ٢/ ٧٨).

نجيب من سألنا عن كروية الأرض من الدين؛ بأن الأرض كروية بدلالة القرآن والواقع وكلام أهل العلم:

أما دلالة القرآن: فإن الله يقول: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الزمر: ٥].

والتكوير: جعل الشيء كالكور، مثل كور العمامة.

ومن المعلوم: أن الليل والنهار يتعاقبان علىٰ الأرض، وهذا يقتضي أن تكون الأرض كروية؛ لأنك إذا كورت شيئًا علىٰ شيء، وكانت الأرض هي التي يتكور عليها هذا الأمر؛ لزم هذا الشيء أن تكون الأرض التي يتكور عليها هذا الشيء كروية.

وأما دلالة الواقع: فإن هذا قد ثبت، فإن الرجل إذا طار من جدة مثلًا متجهًا إلىٰ الغرب خرج إلىٰ جدة من الناحية الشرقية إذا كان علىٰ خط مستقيم، وهذا شيء لا يختلف فيه اثنان.

وأما كلام أهل العلم: فإنهم ذكروا أنه لو مات رجل بالمشرق عند غروب الشمس، ومات آخر بالمغرب عند غروب الشمس وبينهما

مسافة؛ فإن من مات بالمغرب عند غروب الشمس يرث من مات بالمشرق عند غروب الشمس إذا كان من ورثته.

فدل هذا على أن الأرض كروية؛ لأنها لو كانت –أي:الأرض– سطحية لزم أن يكون غروب الشمس عنها من جميع الجهات في آن واحد.

وإذا تقرر ذلك؛ فإنه لا يمكن لأحد إنكاره.

ولا يشكل على هذا قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

لأن الأرض كبيرة الحجم، وظهور كرويتها لا يكون في المسافات القريبة، فهي بحسب النظر مسطحة سطحًا، لا تجد فيها شيئًا يوجب القلق على السكون عليها.

ولا ينافي ذلك أن تكون كروية؛ لأن جسمها كبير جدا.

ولكن مع هذا ذكروا أنها ليست كروية متساوية الأطراف، بل إنها منبعجة نحو الشمال والجنوب، فهم يقولون: أنها بيضاوية؛ أي: على

شكل بيضة في انبعاجها شمالًا وجنوبًا». اهـ[1].

وإذن فلا إشكال عند أهل الإسلام وعلمائه في أن الأرض كروية، ولكن الإشكال عند من لا يفهم كلام الله جَلَّوَعَلَا علىٰ مراد الله منه، وإنما يفهمه علىٰ مراد نفسه، دون سلوك مسلك أهل العلم في فهم النصوص الشرعية.

فتجد الواحد من هؤلاء لا يعرف شيئًا عن أصول الشريعة، ولا قواعد الملة، بل لا يعرف الفاعل من المفعول، ثم تجده ينصب نفسه حكمًا علىٰ كتاب الله جَلَّوَعَلَا المعجز، الذي تحدىٰ الله به العرب جميعًا أن يأتوا بمثله؛ فلم يستطيعوا، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات فلم يستطيعوا، فتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا.

وأما هذا الجهبذ الذي نصب نفسه حكمًا علىٰ كلام الله جَلَّوَعَلَا

(١) فتوىٰ صوتية ومفرغة، للعلامة محمد بن صالح العثيمين علىٰ موقعه الرسمي، بعنوان: «الدليل علىٰ كروية الأرض».

وكلام نبيه ﷺ؛ فهو أعلم من العرب جميعًا! وأعلم من أئمة الدين وفقهاء الملة! وهو يفهم كلام الرب جَلَّ وَعَلَا أفضل مما يفهمون! فلم يكلف نفسه السؤال عن معنىٰ ما أشكل عليه من آيات، ولا عن قواعد دين الإسلام العظيم في فهم النصوص الشرعية، بل لم يعرف قواعد العقل الصحيح في فهم الكلام الصادر عن أي أحد.

وسنعرض في الفصل التالي الإشكال عند من استشكل علىٰ كلام الله جَلَّ وَعَلَا، وكيفية بيان زيفه وبطلانه من كلام الله جَلَّ وَعَلَا وكلام الأئمة الأعلام.



كيف وقع الاستشكال
على كروية الأرض في الإسلام؟

قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

قال الإمام الطبري - رحمة الله عليه - في تفسيره لهذه الآية:

«**يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ:** ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ﴾ يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾؛ يقول: علىٰ طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا.

﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾ **يقول:** فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ **يقول:** ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحق من الباطل، فتعمل به، فتهلك

إن عملت به» اهـ.

وعن أبي برزة، عن النبي ﷺ قال: «**إن مما أخشىٰ عليكم: شهوات الغي في بطونكم وفروجكم، ومضلات الهوىٰ**»[1].

وروي عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات؛ فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوًىٰ متبع، وإعجاب المرء بنفسه.**

وأما المنجيات: فالعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنىٰ، وخشية الله في السر والعلانية.

وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلىٰ الجماعات.

وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»[2].

---

(١) رواه أحمد في «مسنده»، وصحَّحه الألباني، انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٤٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط»، وقال عنه الألباني: حسن لغيره. انظر: «صحيح =

وإذن فاتباع الهوىٰ آفة قد حذر الله جَلَّوَعَلَا منها ورسوله ﷺ، وهي من المهلكات الموقعة لصاحبها في الضلال والخسران.

فعلىٰ الإنسان أن يتجرد لله جَلَّوَعَلَا، وألا يميل بقلبه تجاه ما لم يأت به الشرع صريحًا وواضحًا في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ.

۞ ونعود إلى نشأة الإشكال على دين الإسلام العظيم فيما يخص كروية الأرض وبسطها:

لقد نزل القرآن الكريم قبل ما يزيد عن ألف وأربعمائة عام، وفهمه أصحاب رسول الله ﷺ علىٰ مراد الله جَلَّوَعَلَا منه؛ ففهموا كلام الله جَلَّوَعَلَا علىٰ مراد الله لا علىٰ مراد أنفسهم، ولا علىٰ مراد أهوائهم، وهكذا كان التابعون لهم بإحسان وتابعو التابعين، إلىٰ أن خرج علىٰ الناس أقوام لا يريدون أن يفهموا القرآن الكريم فهمًا صحيحًا، وإنما يبحثون فيه عن أخطاء ينفرون الناس بها عن دين الإسلام العظيم.

فقد غرهم ما وجدوه في نسخ التوراة والإنجيل المحرفة من

=

الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٥٦).

اختلافات وتناقضات، حتىٰ ظنوا أن كتاب الله جَلَّوَعَلَا المحفوظ بحفظه قد يقع عليه من تحريف ما وقع علىٰ ما سبقه من كتب سماوية؛ فهم لا يعرفون الفارق بين القرآن الكريم والكتب السماوية المنسوخة التي سبقته.

ولا يعرفون الفارق بين قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة: ٤٤].

وبين قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ولكن لا بأس...

فلنبدأ الآن بذكر ما استدلوا به، وذكر استدلالهم، والرد علىٰ ذلك من كتاب الله وكلام الأئمة الأعلام:

هم يستدلون بقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ – ٢٠].

يستدلون به علىٰ أن الأرض مسطحة، وليست كرويةً.

والآن هم يزعمون أن تناقضًا قد وقع بين الواقع المشاهد القطعي وبين كلام الله جَلَّوَعَلَا؛ وعليه فهم يحكمون علىٰ كلام الله بأنه إما باطل! أو محرف!

والجواب على هذه الشبهة كما يلي:

بدايةً نقول: لا يتعارض النص الصحيح الصريح مع العقل الصحيح أبدًا.

قال الإمام السعدي - رحمة الله عليه - في تفسير آية سورة الغاشية:

«﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠] **أي**: مدت مدا واسعًا، وسهلت غاية التسهيل؛ ليستقر الخلائق علىٰ ظهرها، ويتمكنوا من حرثها وغراسها، والبنيان فيها، وسلوك الطرق الموصلة إلىٰ أنواع المقاصد فيها.

واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك

فيها من جميع جوانبها، كما دل علىٰ ذلك النقل والعقل والحس والمشاهدة، كما هو مذكور معروف عند أكثر الناس، خصوصًا في هذه الأزمنة، التي وقف الناس علىٰ أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعيد.

فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدا، الذي لو سطح لم يبق له استدارة تذكر.

وأما جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر والسعة، فيكون كرويا مسطحًا، ولا يتنافىٰ الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة» اهـ.

❁ وأما ما يزعمون أنه تعارض فبيانه كما يلي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله عليه –:

وحينئذ فنقول: الجواب من وجوه: أحدها:

أن قوله: إذا تعارض النقل والعقل:

إما أن يريد به القطعيين؛ فلا نسلم إمكان التعارض حينئذ.

وإما أن يريد به الظنيين؛ فالمقدم هو الراجح مطلقًا.

وإما أن يريد به ما أحدهما قطعي؛ فالقطعي هو المقدم مطلقًا، وإذا قدر أن العقلي هو القطعي؛ كان تقديمه لكونه قطعيا لا لكونه عقليا.

فعلم أن تقديم العقلي مطلقًا خطأ، كما أن جعل جهة الترجيح لكونه عقليا خطأ» اهـ[1].

وإذن: فلنطبق هذه القواعد التي ذكرها شيخ الإسلام على ما يسمونه تناقضًا:

فنقول: في أي شيء وقع التعارض؟ وهل هو تعارض قطعيين أم ظنيين أم ظني وقطعي؟

أما المسألة العقلية الحسية المشاهدة؛ **وهي مسألة كروية الأرض؛** فهي مسألة قطعية.

وأما **الآية الكريمة؛** فهي قطعية الثبوت، ولكنها ليست قطعية

(١) «درء تعارض العقل و النقل»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٨٦، ٨٧).

الدلالة.

بمعنىٰ: أن النقل [والنقل: هو ما جاء عن الله، أو ما جاء عن رسول الله ﷺ] لابد أن يتوفر فيه شرطان لكي يكون قطعيا في المسألة التي نتكلم فيها:

الشرط الأول: أن يكون صحيحًا ثابتًا؛ إما آية في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، أو حديثًا ثابتًا صحيحًا عن رسول الله ﷺ.

الشرط الثاني: أن يكون النقل قطعي الدلالة؛ يعني: معناه يحسم المسألة إلىٰ قول من الأقوال المتنازع عليها. ولو أمكن الجمع بين الأقوال بحيث يكون أحدها صحيحًا من وجه، والآخر صحيحًا من وجه آخر، ودل النقل علىٰ ذلك؛ لكان ذلك النقل غير قطعي في المسألة؛ أي: لا يحسم المسألة لقول من القولين.

ولعل هذا الكلام سيتضح إذا ما طبقناه علىٰ مسألة كروية الأرض، والآية الكريمة التي يستدلون بها.

إذن؛ عندنا ما هو عقلي قطعي، وما هو نقلي قطعي الثبوت [أي:

ثابت عن الله جَلَّوَعَلَا أنه قاله]، ولكن هل هو قطعي الدلالة؟

الجواب: لا، ليس قطعي الدلالة في مسألة تسطيح الأرض ونفي كرويتها - كما يزعمون -؛ لأنه يمكن أن يكون الجسم الكبير مثل الأرض والكواكب والنجوم وما أشبه؛ كرويًّا بشكل عام ولكنه مسطح؛ فالأرض نراها مسطحة، ويراها الناس جميعًا كذلك، وكذلك يرونها إذا ما ركبوا الطائرات أو من خلال الأقمار الصناعية كرويةً، وإذن الأرض تحتمل الوصفين؛ أنها مسطحة علىٰ المستوىٰ البشري، كروية علىٰ المستوىٰ العام لهيئتها الكلية.

وإذن فالنص القرآني قطعي الثبوت، ولكنه ظني الدلالة.

خاصةً أن معنا نصا قرآنيا آخر يوضح ذلك؛ حيث يتكلم عن الهيئة الكلية لكوكب الأرض، ويثبت أنه مكور؛ مثل الكرة.

قال تعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: ٥].

❁ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله عليه - كما مر -:**

«**قال تعالىٰ:** ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الزمر: ٥].

قالوا: و«التكوير» التدوير؛ يقال: كورت العمامة وكورتها: إذا دورتها، ويقال للمستدير: كارة، وأصله «كورة»، تحركت الواو وانفتح ما قبلها؛ فقلبت ألفًا.

ويقال أيضًا: «كرة»؛ وأصله «كورة»، وإنما حذفت عين الكلمة كما قيل في ثبة وقلة.

والليل والنهار، وسائر أحوال الزمان تابعة للحركة؛ فإن الزمان مقدار الحركة، والحركة قائمة بالجسم المتحرك، فإذا كان الزمان التابع للحركة التابعة للجسم موصوفًا بالاستدارة؛ كان الجسم أولىٰ بالاستدارة» اهـ.

وإذن فلا تعارض بين القرآن وبين ما هو عقلي قطعي من كروية الأرض؛ لأن العقلي القطعي أيضًا يثبت تسطيح الأرض علىٰ المستوىٰ البشري؛ فالبشر يرونها مسطحةً أمام أعينهم، فلا يستطيع أحد أن يقول:

إن الأرض نراها بأعيننا ونحن علىٰ سطحها غير مسطحة.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تفسيره لهذه الآية:

«﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ **أي**: وسعناها سعةً يتمكن الآدميون والحيوانات كلها علىٰ الامتداد بأرجائها، والتناول من أرزاقها، والسكون في نواحيها.

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ **أي**: جبالًا عظامًا؛ تحفظ الأرض بإذن الله أن تميد، وتثبتها أن تزول.

﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ **أي**: نافع متقوم، يضطر إليه العباد والبلاد؛ ما بين نخيل وأعناب وأصناف الأشجار وأنواع النبات» اهـ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا﴾ [الرعد: ٣].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: ١٩، ٢٠].

فأي مد وأي بسط يكون كمد وبسط سطح الكرة كبيرة الحجم؛ فمدها وبسطها يكون لا نهاية له، وأما إن كانت غير كروية؛ فيكون مدها وبسطها محدودًا؛ كما هو معلوم.

وإذن فلا تناقض بين العقل الصحيح والنقل الصحيح الصريح، ولو أصر أحدهم علىٰ أنه ما زال يفهم أن هنالك تعارضًا بين كروية الأرض وقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠]؛ فإننا نقول له:

لو سلمنا لك أنه وقع تناقض ظاهرًا؛ لطبقنا الحالة الثالثة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية؛ وهي:

«**وإما أن يريد به ما أحدهما قطعي؛ فالقطعي هو المقدم مطلقًا**، وإذا قدر أن العقلي هو القطعي؛ كان تقديمه لكونه قطعيا لا لكونه عقليا.

فعلم أن تقديم العقلي مطلقًا خطأ، كما أن جعل جهة الترجيح لكونه عقليا خطأ».

وإذن فالمقدم هو العقلي القطعي؛ وهي كروية الأرض، ولا إشكال؛ لأن الآية وإن كانت قطعية الثبوت، إلا إنها ظنية الدلالة.

وأما تفسير الآية فسيؤول في المنتهىٰ إلىٰ قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: ٥].

وسيكون معناها كما وضحه العلماء: أنها مسطحة لمن يحيا عليها، وكروية في هيئتها العامة، وبذلك نكون انتهينا إلىٰ ما قلناه قبل؛ أنه لا تناقض ولا تعارض بفضل الله العلي الكبير.

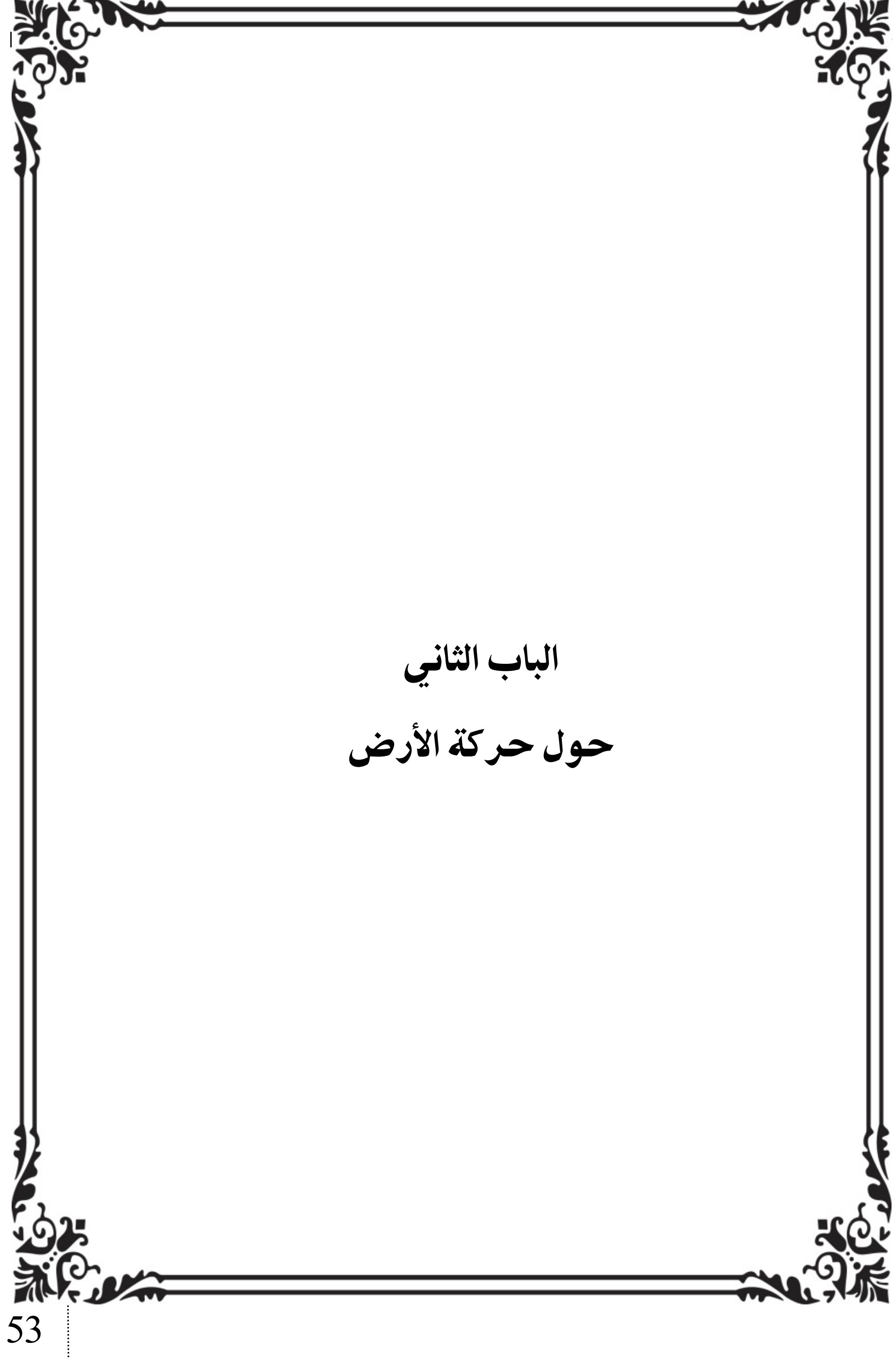
قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠﴾ [نوح: ١٩، ٢٠].

❁ قال الإمام الطبري - رحمة الله عليه - في تفسيره للآية:

«**يعني بذلك**: أنه جعل لكم الأرض مهادًا موطأً، وقرارًا يستقر عليها. يذكر ربنا جل ذكره عباده نعمه عندهم، وآلاءه لديهم؛ ليذكروا

أياديه عندهم، فينيبوا إلىٰ طاعته تعطفًا منه بذلك عليهم، ورأفةً منه بهم، ورحمةً لهم، من غير ما حاجة منه إلىٰ عبادتهم، ولكن ليتم نعمته عليهم ولعلهم يهتدون» اهـ.





الباب الثاني

حول حركة الأرض

فتوى العلامة الألباني

حول مسألة دوران الأرض وكرويتها

السائل: سائل يقول: ما قولكم في مسألة دوران الأرض؟

جواب الشيخ:

نحن الحقيقة لا نشك في أن قضية دوران الأرض حقيقة علمية لا تقبل جدلًا، في الوقت الذي نعتقد أنه ليس من وظيفة الشرع عمومًا والقرآن خصوصًا أن يتحدث عن علم الفلك ودقائق علم الفلك.

وإنما هذه تدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام الذي أخرجه مسلم في «صحيحه»، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في قصة تأبير النخل، حينما قال لهم: «**إنما هو ظن ظننته، فإذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فأتوا منه ما استطعتم، وما أمرتكم بشيء من أمور دنياكم؛ فأنتم**

أعلم بأمور دنياكم»[١].

فهذه القضايا ليس من المفروض أن يتحدث عنها الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإن تحدث هو في حديثه أو ربنا عَزَّوَجَلَّ في كتابه؛ فإنما لبالغة، أو لآية، أو لمعجزة، أو نحو ذلك.

ولذلك فنستطيع أن نقول: أنه لا يوجد في الكتاب ولا في السنة ما ينافي هذه الحقيقة العلمية المعروفة اليوم، والتي تقول: أن الأرض كروية، وأنها تدور بقدرة الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الفضاء الواسع.

بل يمكن للمسلم أن يجد ما يشعر - إن لم نقل: ما ينص - علىٰ أن الأرض كالشمس وكالقمر من حيث أنه كلها في هذا الفراغ؛ كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

لا سيما إذا استحضرنا أن قبل هذا التعميم الإلهي بلفظة ﴿كُلٌّ﴾ تعني الكواكب الثلاثة؛ حيث ابتدأ بالأرض، فقال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ٣٣﴾ [يس: ٣٣]، ثم قال:

(١) رواه مسلم، وأحمد واللفظ له مختصرًا.

﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾ [يس: ٣٨-٤٠].

فلفظة ﴿كُلّٞ﴾ تشمل الآية الأولىٰ: الأرض، ثم الشمس، ثم القمر، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾.

هذا ظاهر من سياق الآيات، وهي بلا شك آيات في ملك الله عَزَّوَجَلَّ باهرة، أقول هذا مع العلم بأن العلماء في التفسير أعادوا اسم «كل» إلىٰ أقرب مذكور؛ وهو الشمس والقمر، لكن ليس هناك ما يمنع أبدًا من أن نوسع معنىٰ الكل فيشمل الأرض التي ذكرت قبل الشمس، وقبل القمر.

هذا أقوله فإن صح فبها ونعمت، وإن لم يصح فأقل ما يقال: أنه لا يوجد في القرآن - كما قلت آنفًا - ولا في السنة ما ينفي هذه الحقيقة العلمية. أما ما يقال أو ما يستدل به من الآيات؛ كجعل الله عَزَّوَجَلَّ الجبال: ﴿رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وكـ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ

دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ [النازعات: ٣٠]، ونحو ذلك من الآيات.

فهي في الحقيقة لا تنهض لإبطال هذه الحقيقة العلمية الكونية من جهة، بل لعل بعضها تكون حجة علىٰ المستدلين بها.

فجعل الله عَزَّوَجَلَّ الجبال كالأوتاد - تشبيهًا بالأوتاد- فهذا نص صريح بأن ذلك لا يمنع تحركها مطلقًا، وإنما يمنع تحرك الأرض تحركًا اضطرابيا، بحيث لا يتمكن الساكنون عليها من التمتع بما فيها، بل من الحياة عليها.

ذلك لأننا نعلم أن الرواسي بالنسبة للسفن لا تمنع حركتها مطلقًا، لكنها تمنع أن تفلت هكذا في خضم البحر فتضربها الأمواج يمينًا ويسارًا، ثم يكون مصيرها الغرق.

كذلك الأوتاد التي تضرب للخيل ونحو ذلك من الدواب؛ فهي لا تمنع أبدًا أن تتحرك تحركًا في مدًىٰ محدود، أراد ذاك بالحيوان الواتد - إن صح التعبير -، والواتد: هو الذي ضرب الوتد بالحيوان.

ونحن نرىٰ في سوريا في بعض البساتين التي تزرع فيها بعض

الحشائش التي هي طعام للخيل وللبقر ونحو ذلك من الحيوانات، يسمىٰ عندنا في بلاد الشام بالفصة، وربما يسمىٰ عندكم بالبرسيم.

فهذا يزرع، فيأتي الفلاح حينما ينبت فيضرب وتدًا لفرسه أو لبقرته؛ فتجد هذه البقرة تأكل من هذا البرسيم المقدار الذي يريده صاحبها؛ فهي تتحرك، لكن لا تتحرك كيف تشاء، كحركة الفوضىٰ، كما لو أطلق لها الزمام، وإنما تتحرك حركة نظامية؛ ولذلك تجد قد شكلت دائرة الفصة أو البرسيم الذي أكلته؛ فأصبحت الأرض جرداء تقريبًا من الخضار، وما حولها الخضار به لا يزال قائمًا.

فتشبيه رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للجبال بالنسبة للأرض كالمراسي بالنسبة للسفينة، والأوتاد بالنسبة للحيوانات، هذه أيضًا بالنسبة للأرض؛ كل ذلك لا ينفي عن الأرض الحركة المنظمة بقدرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

لذلك قلت: أن هذه الآيات - أو بعضها علىٰ الأقل - هي أقرب إلىٰ الدلالة علىٰ أن الأرض تتحرك أقل ما يقال، وأنها ليست ثابتة

جامدة، كما يتوهم كثير من الناس.

فخلاصة القول: لا يوجد في الشرع أبدًا ما ينفي كروية الأرض، ثم كروية الأرض أصبحت اليوم حقيقة علمية ملموسة لمس اليد.

يعني: يتهم الإنسان في عقله، أو على الأقل: في علمه، إذا جحد هذه الحقيقة.

لأنك اليوم تستطيع أن ترفع السماعة وتتصل مع صديق لك صادق، وتقول له: ماذا عندكم اليوم؛ نهار أم ليل؟ سيقول لك: عندنا ليل. ففي الوقت الذي يؤذن عندنا مثلًا لأذان المغرب يؤذن عندهم لصلاة الفجر، أو يكون قد طلعت الشمس، وهذا لا يمكن تصوره أبدًا إلا كما يقول العلم بالتجربة: أن هذا ينتج بسبب أن الأرض تدور حول الشمس دائرة كاملة ينتج من ورائها الليل والنهار[1]، ثم أدق من ذلك

---

(١) **لعل الشيخ كان يقصد**: «ينتج عنها الفصول الأربعة»، والسياق يدل على ذلك، مع العلم أن هذه الفتوى هي فتوى صوتية قد تم تفريغها، وليست منقولة من كتاب للشيخ قد كتبه بيده وراجعه قبل الطباعة.

حصول الفصول الأربعة بسبب ابتعاد الأرض عن الشمس واقترابها، وهذا له تفصيله في علم الفلك وعلم الجغرافيا، لسنا في صدده.

لكن الشاهد: أنه لا يمكن أن تحصل هذه الأمور الواضحة إلا والأرض أولًا كروية، وإذا سلبت كرويتها فلا يمكن أن يقال: بأنها ثابتة؛ لأن البشر يسكنون هذه الأرض في كل جوانبها كما يقال اليوم: في القطب الشمالي، في القطب الجنوبي، فلو كانت هي كروية وثابتة كيف يثبت من كانوا في أسفل القطب الجنوبي مثلًا؟! بل ومن كان في طرفيها؟! لكنها لما كانت تدور بقدرة الله العجيبة الدوران الذي لا يجعل حياة المستوطنين والساكنين عليها مضطربة؛ فهذا أمر في غاية الإعجاز الدال علىٰ عظمة وقدرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأنا أريد أن أذكر بشيء يقرب هذا الشيء البعيد الذي لا يدخل في أذهان بعض الناس: وأنا في ألبانيا كنت أجيرًا في دكانة خال لي كان حلاقًا، فكان يأتيه زبون مثلًا فيطلب له فنجان قهوة، يأتي أجير القهوجي وفي يده صحن - صينية مثل هذه الصواني، أكبر منها قليلًا،

لكن هذه لها حاملة؛ يعني يمكن أن نصورها هكذا هنا -، يضع إصبعه ويمشي أولًا يلهو ويتسلىٰ ويعمل فيها هكذا [يقصد الشيخ : أن القهوجي يدير الإناء الموضوع عليه القهوة] ، والفنجان علىٰ الصحن الصغير كما هي العادة لا يتحرك من مكانه.

هذا مصغر جدًّا جدًّا ليفهم الإنسان كيف تدور الأرض ولا يضطرب البشر عليها، والبشر بشر، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ [التين: ٤].

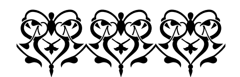
فإذا كان هذا الفنجان وهو موضوع في الصينية، والذي يحركه هو إنسان جاهل غشيم، قدرته ومداركه محدودة، ومع ذلك ربنا عَزَّوَجَلَّ أعطاه شيئًا من العقل وشيئًا من القدرة؛ بحيث إنه يدير هذه الصينية وعليها الفنجان وهو فوق صحن صغير فلا يقطر منه قطرة.

هذا كنا نراه ونحن صغار، فالله عَزَّوَجَلَّ... ماذا نقول؟ «وليس يصح في الأذهان شيء فاحتاج النهار إلىٰ دليل»، فالله عَزَّوَجَلَّ علىٰ كل شيء قدير.

إذن القضية لا تحتاج إلا إلىٰ شيء من العلم والإدراك الصحيح، مع وجود الإيمان الكامل - طبعًا - بعظمة وقدرة الله التي لا يمكن أن يتصورها إنسان، هذا رأيي في هذا السؤال.

السائل: جزاكم الله خيرًا.

الشيخ: وإياكم.



وإذن...

فالأرض كروية بإجماع علماء المسلمين، بل بأدلة القرآن الكريم، وكذلك هي في فلك الكون سابحة، ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والليل والنهار، وسائر أحوال الزمان تابعة للحركة؛ فإن الزمان مقدار الحركة؛ والحركة قائمة بالجسم المتحرك، فإذا كان الزمان التابع للحركة التابعة للجسم موصوفًا بالاستدارة؛ كان الجسم أولىٰ بالاستدارة» اهـ.

وقد سبق نقل هذا الكلام في فتوىٰ له – رحمة الله عليه –.

ومن الأدلة أيضًا على حركة الأرض: حركة أوتادها ورواسيها:

فإن الوتد إذا ما تحرك فإن ما اتصل به يتحرك، وكذلك إذا ما تحركت الرواسي التي هي سبب في عدم اضطراب الشيء وتخبطه في الحركة؛ فإن ما يرسىٰ ويستقر بها يتحرك بحركة هذه الرواسي.

قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

وقد أخبر الله جَلَّ وَعَلَا **في هذه الآية:** أن الناس يرون الجبال جامدة ثابتة ، وهي في الحقيقة تمر مر السحاب ، يعني تتحرك، وهذا يكون بدوران الأرض المرهونة بأوتادها (الجبال) ، وقوله: ﴿وَتَرَى﴾ بصيغة المضارع يفيد استمرار رؤية حركة الجبال، وهذا لا يكون إلا في الدنيا، لا كما يقول البعض: إن الآية معنية بما يكون في الآخرة!

ومعلوم أن الله لن يدعو الناس إلىٰ التأمل في عظيم خلقه يوم القيامة، فليس ذلك اليوم محل التأمل والتفكر؛ لأنه يوم حساب لا يوم عمل، وقد جفت الأقلام وطويت الصحف، والدليل علىٰ أن الآية تحث الناس علىٰ التفكر والتدبر في خلق الله البديع: سياق الآية نفسه؛ إذ يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ .

فقوله تعالىٰ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ دليل علىٰ أنه يأمرهم

بالتأمل في بديع صنعه وإتقانه سبحانه، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾ جاء بعد ذكره بديع صنعه وإتقانه للكون.

فمع كون الجبال الرواسي الأوتاد للأرض تتحرك مثل حركة السحاب فالأرض مستقرة لا تميد بالناس، وهذا دليل علىٰ عظمة قدرة الله التي لا يعجزها علم ما يفعله الناس في هذه الدنيا.

أضف إلىٰ ذلك: أن من يقول: إن الآية معني بها ما يقع في الآخرة؛ يلزمه أن يقول: إن سكون الناس بالليل وكون النهار مبصرًا مضيئًا مهيئًا لأعمال الناس أيضًا معني به ما سيكون في الآخرة؛ لأن الآيات قد جاءت علىٰ هذا النحو:

﴿وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل: ٨٥ - ٨٨].

فقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾، ومعلوم أن ذلك معني به ما يكون في الآخرة، ثم قال بعدها مباشرة: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، وهذا معلوم أنه في الدنيا، ولا يدل ورود هذه الآية بعد كلام الله جَلَّ وَعَلَا عن الآخرة أنها ستكون في الآخرة، وكذلك نقول في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

فلا يلزم كون الآية التي سبقتها تتكلم عما سيقع في الآخرة أن تكون هذه الآية أيضًا تتكلم عما سيقع في الآخرة.

عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة علىٰ أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقي، ليس فيها علم لأحد**»[1].

وعن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ قال: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يكفؤها الجبار بيده، كما يكفأ أحدكم خبزته**

(١) متفق عليه.

في السفر نزلًا لأهل الجنة»، قال: فأتىٰ رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: «**بلىٰ**». قال: تكون الأرض خبزة واحدة - كما قال رسول الله ﷺ -، قال: فنظر إلينا رسول الله ﷺ، ثم ضحك حتىٰ بدت نواجذه. قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: «**بلىٰ**»، قال: إدامهم بالام ونون. قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفًا»[1].

إذن هذه صفة الأرض يوم القيامة كقرصة الخبز النقي الذي لا اعوجاج فيه ولا أمت، ولا علامة فيه ولا رمز، فأين الجبال التي تمر كالسحاب ويراها الناس يومئذ علىٰ هذه الصورة؟!

الجواب في قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٨].

(١) متفق عليه.

❁ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآيات:

«**يقول تعالىٰ**: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾؛ أي: هل تبقىٰ يوم القيامة أو تزول؟ ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾؛ أي: يذهبها عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييرًا.

﴿ فَيَذَرُهَا﴾ **أي**: الأرض ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ أي: بساطًا واحدًا.

والقاع: هو المستوي من الأرض. والصفصف: تأكيد لمعنىٰ ذلك، وقيل: الذي لا نبات فيه. والأول أولىٰ، وإن كان الآخر مرادًا أيضًا باللازم؛ ولهذا قال: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾؛ أي: لا ترىٰ في الأرض يومئذ واديًا ولا رابية، ولا مكانًا منخفضًا ولا مرتفعًا؛ كذلك قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن البصري، والضحاك، وقتادة، وغير واحد من السلف» اهـ.

وإذن حركة الجبال التي هي للأرض كالأوتاد والرواسي تكون في الحياة الدنيا، وهي دليل علىٰ صنع الله المتقن للأرض وحركتها، مع عدم طيش الأرض وميدها وحركتها المسببة لاستحالة العيش عليها،

ووضع الرواسي للأرض دليل أيضًا علىٰ أنها تتحرك حركة منتظمة لا تؤثر علىٰ استقرار من يعيش عليها، وهذا هو الإعجاز وعظيم الصنع الذي قال الله جَلَّ وَعَلَا عنه: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

لأنها لو كانت ساكنة لا تتحرك لما جعل الله لها رواسي ولا أوتادًا، قال تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥].

فلو كانت ساكنةً لا تتحرك؛ فإن إلقاء الرواسي بها لكي لا تميد لا معنىٰ له، إلا إذا كانت تتحرك وتدور، فألقىٰ الله بها الرواسي والأوتاد لكي لا تدفعها حركتها إلىٰ الميد والإضطراب مما يُحيل إمكانية الحياة عليها.

قال العلامة السعدي في تفسيره للآية:

«**أي:** ﴿وَأَلْقَىٰ﴾ الله تعالىٰ لأجل عباده ﴿فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ وهي: الجبال العظام؛ لئلا تميد بهم وتضطرب بالخلق، فيتمكنون من حرث

الأرض، والبناء والسير عليها» اهـ.

كتبت هذا الذي مر؛ ثم وفقني الله جَلَّوَعَلَا إلىٰ الوقوف علىٰ كلام العلامة الشنقيطي في المسألة – فرأيت أنه من الأمانة العلمية ذكره – حيث قال تحت تفسيره لآية سورة «النمل»:

«قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

قد قدمنا – في ترجمة هذا الكتاب المبارك – أن من أنواع البيان التي تضمنها: أن يقول بعض العلماء في الآية قولًا، ويكون في الآية قرينةٌ تدل علىٰ بطلان ذلك القول، وذكرنا في ترجمته أيضًا أن من أنواع البيان التي تضمنها: الاستدلال علىٰ المعنىٰ بكونه هو الغالب في القرآن؛ لأن غلبته فيه تدل علىٰ عدم خروجه من معنىٰ الآية، ومَثَّلْنَا لجميع ذلك أمثلةً متعددةً في هذا الكتاب المبارك، والأمران المذكوران من أنواع البيان قد اشتملت عليهما معًا آية «النمل» هذه.

وإيضاح ذلك: أن بعض الناس قد زعم أن قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ

﴿تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾، يدل علىٰ أن الجبال الآن في دار الدنيا يحسبها رائيها جامدةً، أي: واقفةً ساكنةً غير متحركةٍ، وهي تمر مر السحاب، ونحوه قول النابغة يصف جيشًا:

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم ... وقوفٌ لحاج والركاب تهملج

والنوعان المذكوران من أنواع البيان، يبينان عدم صحة هذا القول.

أما الأول منهما: وهو وجود القرينة الدالة علىٰ عدم صحته، فهو أن قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ﴾ معطوفٌ علىٰ قوله: ﴿فَفَزِعَ﴾، وذلك المعطوف عليه مرتبٌ بالفاء علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية [٢٧ \ ٨٧]، أي: ويوم ينفخ في الصور، فيفزع من في السموات وترىٰ الجبال، فدلت هذه القرينة القرآنية الواضحة علىٰ أن مر الجبال مر السحاب كائنٌ يوم ينفخ في الصور لا الآن» اهـ.

قلت وهذا قد مر الرد عليه فيما مر.

ثم قال رحمة الله عليه:

«**وأما الثاني**: وهو كون هذا المعنىٰ هو الغالب في القرآن فواضحٌ؛

لأن جميع الآيات التي فيها حركة الجبال كلها في يوم القيامة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ [٥٢ \ ١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [١٨ \ ٤٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ [٧٨ \ ٢٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ [٨١ \ ٣] .

وقوله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، جاء نحوه في آياتٍ كثيرةٍ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [٢٣ \ ١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [٦٧ \ ٣]، وتسيير الجبال وإيجادها ونصبها قبل تسييرها، كل ذلك صنعٌ متقنٌ» اهـ.

قلت: وهذا من أوجه الأدلة التي يستدل بها من يقول أن مرور السحاب في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ سيكون في الآخرة، أضف إليه ما قاله الإمام الطبري رحمة الله عليه في تفسير قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾:

«وقوله: ﴿ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ يقول: وتسير الجبال عن أماكنها من الأرض سيرًا، فتصير هباءً منبثًا» اهـ.

غير أن إثبات سير الجبال في الآخرة لتصير هباءً منبثًا، لا ينفي إمكانية مرورها في الحياة الدنيا كمر السحاب، لا سيما أن سيرها في الآخرة هو بداية نهايتها وفنائها كما قال الطبري رحمة الله عليه، ومرورها كمر السحاب في الدنيا دليلٌ مشاهدٌ يراه الناس على إتقان الله جَلَّ وَعَلَا للخلق.

فيحتمل أن يكون قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ المقصود به أن ذلك كائن في الحياة الدنيا، مع إثبات أن قوله تعالى: ﴿ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ المقصود به وقوع ذلك في الآخرة، ولا تعارض.

وعلى كل حال؛ فأقول كما قال العلامة الألباني رحمة الله عليه لما سئل: **هل هناك دليل من الكتاب والسنة على دوران الأرض أو حركتها**

أو ليس هناك دليل؟

الشيخ: هذا تفصيل لا يهمني أن يكون هناك في القرآن دليل علىٰ جزء أو مسألة من مسائل علم الفلك؛ لأن الإسلام (القرآن والسنة) ما جاء لتعليم الناس علم الفلك والجغرافيا والطبيعة ونحو ذلك!

لكن حسبي أن أعتقد بأنه لا يوجد في القرآن ولا في السنة ما يخالف حقيقة علمية.

وكون الأرض كروية وأنها كوكب من الكواكب التي علقها الله عَزَّوَجَلَّ بقدرته في السماء، وهو الذي يمسكها أن تزول، فهذه حقيقة علمية لا يمكن إنكارها من الناحية العلمية، وبالتالي لا يتصور أن يوجد في الإسلام نص في السنة - فضلًا عن القرآن - يخالف مثل هذه الحقيقة العلمية.

هكذا أقول، ومع ذلك ففي القرآن ما يمكن الاستدلال به علىٰ كروية الأرض وعلىٰ دورانها، ولكن المشكلة أن الناس يغلب عليهم - إلا من عصم الله، وقليل ما هم - التقليد، سواء في التفسير أو في الفقه،

ثم ينضم إلىٰ ذلك عقدة نفسية عند بعض الناس من أهل العلم تجاه هؤلاء الكفار الغربيين الذين استطاعوا بجهدهم وانكبابهم علىٰ دنياهم أن يكتشفوا أشياء لم يكن الناس عارفين بها من قبل، فهذه العقدة النفسية تحملهم علىٰ المكابرة وإنكار الحقائق.

وأنا أعتقد وسمعت بأنه لا يزال حتىٰ اليوم بعض الناس مَن لا يعتقد بأنه بعض الكفار صعدوا إلىٰ القمر؛ لأنهم لم يرو ذلك، وإنما هي أخبار جاءت من الكفار.

هذا موجود حتىٰ اليوم.

وهذه العقدة النفسية قد تحمل إنسانًا أن يتكلف في تفسير بعض النصوص القرآنية بضد هذه الحقائق العلمية.

وأنا لا أجد أبدًا في الشرع ما ينفي كروية الأرض ودورانها، بل أجد ما يؤيد ذلك، ولا سيما وقد قال بذلك بعض علمائنا السابقين كابن تيمية وغيرهم.

فإذًا؛ القول بهذا ليس - كما يتوهم بعض الناس اليوم - تقليدًا

للكفار واغترارًا بهم وتصديقًا لهم فيما لا ينبغي التصديق، وإنما هو رأي قد قال به بعض علماء الدين سابقًا.

نحن مثلًا لو تلونا بعض الآيات من سورة «يس»، حينما يبدأ بذكر الأرض فيقول: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾، ثم يقول: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

كل من آية الأرض والقمر والشمس في فلك يسبحون، ما يحتاج إلىٰ تأويل وما يحتاج إلىٰ تكلف، سواء بدعم هذا الرأي أو بضربه، الآية واضحة جدًّا.

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ كل ما ذكر من الأرض والقمر والشمس في فلك يسبحون، أما الآيات التي يستدلون بها فهي لا تدل أبدًا علىٰ ما يذهبون إليه، فكون ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ مثلًا: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ الدحو أولًا لا يعني البسط؛ كهذا البلور

مثلًا، بل يعني استدارة، ولكن معنىٰ الاستدارة يعني معنىٰ التمهيد وتوطئة هذه الأرض لسكناها، ولا شك أن المسلم المؤمن بالله ورسوله حينما يعتقد أن هذه الأرض التي خلقنا الله فيها وسخرها لنا ننطلق فيها ونبحث عن رزقنا ونضرب في أطرافها وهي كروية؛ لا شك أن هذه الآية أدل علىٰ قدرة الله عَزَّوَجَلَّ من أن نتصورها سطحًا منبسطًا، لا، لا شك أنه مع أنها كروية مثل ما (بيقولوا) بعض القطعيين لو كانت كروية كنا تساقطنا من هنا ومن هنا مثلًا!

فعدم سقوطنا فعلًا هذا دليل علىٰ قدرة الله عَزَّوَجَلَّ وحكمته في ربط هذا البشر وهم قيام علىٰ وجه الأرض لا يتساقطون ولا يطيرون وإنما هم في الأرض يمشون كما خلقهم رب العالمين.

الخلاصة: ليس من الضروري أن نجد في القرآن ما يدل أو ما يؤيد رأيًا علميًّا؛ لأن القرآن لم ينزل لذلك، ولكن - الحقيقة - نقول: يوجد في القرآن الكثير من النصوص تدل علىٰ أمور علمية بعضها لم تعرف إلا اليوم، وبعضها لما تعرف وربما لن تعرف حتىٰ تقوم الساعة؛ لأن

هذا علم الله عَزَّوَجَلَّ وقد قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾، وبهذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين[1].

مناقشة أبرز الأدلة التي يستدل بها من يقول بثبات الأرض:

ولكن هنالك استشكالات علىٰ هذا البيان الواضح الجلي، يستشكلها من يستدل بأقوال بعض علماء الإسلام الذين خرجت تفاسيرهم وكتبهم قبل اكتشاف دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس.

ومن ذلك: تفسير من يفسر قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ويبدو أن الإشكال في فهم هذه الآية الكريمة هو نفس الإشكال في فهم قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠].

فكما أن الأرض في منظور من يعيش عليها، ويسير في سبلها

(١) فتوىٰ صوتية ومفرغة للعلامة الألباني بعنوان «هل هناك دليل من الكتاب والسنة علىٰ دوران الأرض؟» من سلسلة الأشرطة المتفرقة ،الشريط رقم: (١٨١).

وفجاجها مسطحة مستوية، وهي هي بمنظور من يركب الطائرة أو يلتقط لها صورًا من مركبة فضائية كروية مستديرة؛ فكذلك الشمس في منظور من يعيش علىٰ الأرض ويسير في سبلها وفجاجها تأتي دائمًا من المشرق، كما أنها تغرب في المغرب، ولا يستطيع أحد أن يقول: إن الأرض هي التي تغرب تجاه المشرق تاركةً الشمس في المغرب، وإن كان يقول بدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس؛ لأنه يصف ما يراه الإنسان وهو علىٰ كوكب الأرض.

فلا يستطيع أحد أن ينكر أنه يصح للشيء الواحد وصفان، إذا ما اختلفت حيثية هذه الأوصاف.

وكذلك الشمس هي هي في منظور من ينظر إلىٰ الكواكب والنجوم وحركاتها؛ فإنه يصفها بأنها تدور حول نفسها وتدور حولها الكواكب التابعة لها في المجرة.

فهم يطالبون إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأن يقول للنمرود في زمانهما الذي لم يكن قد توصلت فيه العلوم إلىٰ شيء يذكر: عليك أيها النمرود أن

تجعل الأرض تدور في الاتجاه المعاكس لمدارها الحالي حتىٰ تشرق الشمس من المغرب!

هذا إن صح هذا الوصف وكان وصفًا دقيقًا لحركة الأرض والشمس في الفضاء، وما تحتاجه الأرض لكي تشرق عليها الشمس من المغرب، إلا إنه أيضًا يخالف منظور من يسير علىٰ الأرض ويعيش فيها.

وإذن فالجمع بين الآيات أولىٰ، كما جمعنا بين قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [الغاشية: ٢٠]، وقوله سبحانه: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: ٥]: بأن الأرض كروية من حيث هيئتها الكلية، ومسطحة ومبسوطة وممدودة وكالفرش لمن يعيش ويسير عليها من البشر.

فنقول: إن الأرض تدور حول الشمس وحول نفسها، وكذلك الشمس تسبح في هذا الفلك المستدير من حيث هي حقيقة دوران هذه

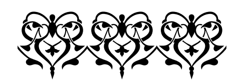
الأجسام الكبيرة في الفضاء، كما أن الشمس تشرق من المشرق وتغرب في المغرب، يرىٰ ذلك كل من يعيش علىٰ الأرض ولا ينكره.

وقد وقفت علىٰ كتاب علىٰ (شبكة المعلومات) سماه صاحبه – أو سماه من جمعه من كلام صاحبه-: «هداية الحيران في مسألة الدوران»، فقمت بالنظر فيه فلم أجد إلا جهلًا وتناقضًا، وكلامًا يضحك أعداء الإسلام علىٰ الإسلام، ولا يؤدي إلىٰ نصرة آية ولا الانتصار لحديث، وكاتبه صاحب مجازفات، ومغالطات أشفقت عليه بسببها أشد إشفاق، وتكلم في الكتاب علىٰ صغر حجمه في عشرات المسائل العلمية.

ومن مجازفاته أنه قال: «أن كل آية أو حديث صحيح ذكر دليلًا علىٰ دوران الأرض؛ فإن ذلك بلا شك ولا ريب تأويل باطل ليس معنىٰ الآية قطعًا ولا الحديث؛ لأن الدليل الصحيح لا يدل إلا علىٰ الحق لا يدل علىٰ الباطل»، فانظر كيف حدد الحق مسبقًا، ثم بدأ بالحكم علىٰ الأدلة وفقًا لما تدل عليه، لا العكس.

ومن ذلك: أنه وصف القول بدوران الأرض بأنه أشنع من القول بأن الإنسان متسلسل نسله من القرود!

فإن كان لا يعرف ما يقوله أعداء الدين من الدراونة وما أشبه، فكيف يمكنه أن يرد عليهم ويبين انحرافهم؟! فالله المستعان.



دعوى الإجماع

على ثبات الأرض والرد عليها

في الحقيقة إن دعوىٰ الإجماع علىٰ ثبات الأرض دعوىٰ عريضة تحتاج إلىٰ نظر وتأمل، فلم ينقلها - فيما أعلم - عن علماء الأمة إلا ثلاثة من النظار والمتكلمين والأشاعرة، وهم: عبد القاهر بن طاهر البغدادي، وعبد القادر الإسفرائيني، والقرطبي؛ عفا الله عنهم.

فنقلهم للإجماع لا يدل إلا علىٰ إجماع المتكلمة والأشاعرة، وأما أهل الحديث والأثر فلم ينقل واحد منهم الإجماع علىٰ ذلك؛ لأنه من المستقر عندهم: أنه لا ينقل الإجماع في الغيبيات إلا بنص صحيح صريح من الوحي.

ونص الإجماع عند من نقله كما يلي: «وأجمعوا علىٰ وقوف الأرض وسكونها، وأن حركتها إنما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها».

قلت: والتعارض ظاهر في نقلهم للإجماع؛ إذ نقلوا الإجماع علىٰ إمكان حركة الأرض بالزلازل ونحوها.

وهذا وإن كان يخالف الواقع؛ إذ لا تتحرك الأرض (التي هي الكوكب) بالزلازل، والتي هي محل النزاع، وإنما تتحرك الأرض (اليابسة) بالزلازل والتي هي ليست محلا للنزاع.

إلا أنه - أي: نص الإجماع - يخالف ما استدلوا به أيضًا من الآيات علىٰ ثبات الأرض، فلو كان المقصود من الآيات أن الأرض (الكوكب) ثابتة لا تتحرك؛ لقيل لهم: كيف يمتنع أن تتحرك مطلقًا بنص الآية، وكيف تقولون بأنها تتحرك بعد ذلك بالزلازل؟!

فصار ما استثنوه دليلًا علىٰ جواز ما نفوه؛ إذ لا تحتوي الآيات علىٰ استثناء، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٦٤].

فإذا أثبتوا وقوع الزلازل وتحرك الأرض بسبب هذه الزلازل؛ بطل استدلالهم بالآية علىٰ أن الأرض ثابتة لا تتحرك.

وفي الأخير نقول: إن سياق الآية ومعناها واضح في أن الله جعل

الأرض قرارًا لمن يسكنها، ويعيش عليها.

وهذا عين ما قاله الحافظ ابن كثير في تفسيره علىٰ هذه الآية:

«**أي**: جعلها مستقرا لكم، بساطًا مهادًا، تعيشون عليها، وتتصرفون فيها، وتمشون في مناكبها، وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم» اهـ.

وهو أيضًا ما قاله العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره للآية:

«﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾؛ **أي**: قارة ساكنة، مهيأة لكل مصالحكم، تتمكنون من حرثها وغرسها، والبناء عليها، والسفر والإقامة فيها»اهـ.

فليس المقصود بالآية منع الحركة عن الأرض، وإنما هو منع الاضطراب المفسد لحياة الناس جملةً علىٰ كوكب الأرض، فالمقصود: أن الأرض مهيأة لمصالح الناس وعيشهم وتصرفهم فيها.

وأما إن كانوا قد فهموا من الآية: أن الأرض مستقرة وغير مضطربة، مع قولهم: إن دوران الأرض حول نفسها أو حول الشمس يؤدي إلىٰ اضطرابها، وهذا ينافي مفهوم الآية!

قلنا لهم: فإن ثبت أن دوران الأرض حول نفسها أو حول الشمس لا يؤدي إلىٰ اضطرابها؛ فإن دورانها إذن لا ينافي ما ورد في الآية الكريمة.

ومما استدل به من يقول بثبات الأرض، وأنها لا تتحرك أيضًا: قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١].

ولازم استدلالهم: أن الأرض لو أمسكها أحد غير الله لزالت، ولأصبحت مثل الشمس والقمر تدور في فلك بانتظام!

وكأنهم يقولون: إن الدوران ينافي العناية والحفظ!

وهذا لا يظهر من الآية، وإنما هو تحميل للآية ما لا تطيق، فمعنىٰ الآية: أن الله يحفظ السموات والأرض أن يطيشا ويهلكا، لا أن يتحركا أو يدورا!

ويلزمهم ما يلزم ناقلي الإجماع من أن وقوع الزلازل لا يكون حال إمساك الله للأرض، وهذا غير مقصود من الآية قطعًا.

وإنما المقصود: أن الله جَلَّوَعَلَا يمسك السموات والأرض أن تزولا؛ أي أن تهلكا؛ يقال: زال الرجل؛ أي: هلك، كما جاء في «المعجم الوسيط».

قال العلامة السعدي في تفسيره للآية:

«يخبر تعالىٰ عن كمال قدرته، وتمام رحمته، وسعة حلمه ومغفرته، وأنه تعالىٰ يمسك السموات والأرض عن الزوال؛ فإنهما لو زالتا ما أمسكهما أحد من الخلق، ولعجزت قُدَرُهم وقواهم عنهما.

ولكنه تعالىٰ قضىٰ أن يكونا كما وجدا؛ ليحصل للخلق القرار، والنفع، والاعتبار، وليعلموا من عظيم سلطانه وقوة قدرته ما به تمتلئ قلوبهم له إجلالًا وتعظيمًا، ومحبةً، وتكريمًا، وليعلموا كمال حلمه ومغفرته بإمهال المذنبين، وعدم معاجلته للعاصين، مع أنه لو أمر السماء لحصبتهم، ولو أذن للأرض لابتلعتهم، ولكن وسعتهم مغفرته، وحلمه، وكرمه؛ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾» اهـ.

وقد خالف دعوىٰ الإجماع من المعاصرين من خالفها؛ كالإمام

الألباني، وقد مر نقل فتواه بنصها، واستدلاله علىٰ حركة الأرض بآيات من كتاب الله جَلَّ وَعَلَا حتىٰ قال: «فأقل ما يقال: أنه لا يوجد في القرآن - كما قلت آنفًا - ولا في السنة ما ينفي هذه الحقيقة العلمية [أي دوران الأرض].

أما ما يقال أو ما يستدل به من الآيات؛ كجعل الله عَزَّوَجَلَّ الجبال: ﴿رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وكـ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠]، ونحو ذلك من الآيات.

فهي في الحقيقة لا تنهض لإبطال هذه الحقيقة العلمية الكونية من جهة، بل لعل بعضها تكون حجة علىٰ المستدلين بها».

❁ وقال العلامة محمود شكري الآلوسي - رحمة الله عليه -:

«**وقوله تعالىٰ**: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الرعد: ٣]؛ معناه: جعل فيها جبالًا ثوابت في أحيازها؛ من الرسو: وهو ثبات الأجسام الثقيلة...

وهذا أيضًا لا ينافي حركة الأرض اليومية والسنوية التي قال بهما أهل الهيئة؛ فإن الله تعالىٰ لو لم يخلق في الأرض الجبال لمادت؛ أي

اضطربت، والميد: اضطراب الشيء العظيم. فلما ألقىٰ فيها الرواسي - وهي الجبال الثوابت - انتفىٰ ذلك، ووجه كون الإلقاء مانعًا عن اضطراب الأرض: أنها كسفينة علىٰ وجه الماء، والسفينة إذا لم يكن فيها أجرام ثقيلة تضطرب وتميل من جانب إلىٰ جانب بأدنىٰ حركة شيء، وإن وضعت فيها أجرام ثقيلة تستقر؛ فكذا الأرض لو لم يكن عليها هذه الجبال لاضطربت، فالجبال بالنسبة إليها كالأجرام الثقيلة الموضوعة في السفينة بالنسبة إليها.

والمقصود: أن جعل الرواسي فيها لا يعارض حركتها بوجه من الوجوه، كما أن السفينة إذا كان فيها أجرام ثقيلة تمنع اضطرابها وميلها من جانب إلىٰ جانب لا ينافي حركتها، وسنزيد ذلك بيانًا فيما يناسب من الآيات الآتية إن شاء الله تعالىٰ»[١] اهـ.

ومن المتأخرين كابن تيمية في نقل نقلناه عنه قبل؛ إذ يقول: «والليل

---

(١) «ما دلَّ عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان»، للعلامة محمود شكري الآلوسي (صحيفة: ١/ ٧٧).

والنهار، وسائر أحوال الزمان تابعة للحركة؛ فإن الزمان مقدار الحركة؛ **والحركة قائمة بالجسم المتحرك، فإذا كان الزمان التابع للحركة التابعة للجسم موصوفًا بالاستدارة؛ كان الجسم أولىٰ بالاستدارة**» اهـ.

وهذا الكلام واضح من شيخ الإسلام ابن تيمية؛ إذ يصف الأرض بالجسم المتحرك، ثم يصفها بالاستدارة.

ولو أن هؤلاء المخالفين المعاصرين الذين لا يجدون دليلًا علىٰ كلامهم إلا آيات يوظفونها في غير محلها، قالوا كما قال العلامة الكشميري - رحمة الله عليه -؛ لكان أرفق بهم وبمن تبعهم من المسلمين؛ **إذ قال:**

«**والذي لا نشك فيه**: أن الشمس في مشاهدتنا هي المتحركة، أما إن تلك المشاهدة لأجل حركة الأرض لشيء آخر، فلا نبحث عنه الآن.

ولكنا نتكلم أولًا علىٰ أن الذي ثبت في مشاهدة ومضت لهم علىٰ تلك دهور، حتىٰ إنه لم يبق منهم أحد إلا وهو يزعم أن الشمس متحركة، وأشربت به قلوبهم، ورسخ في بواطنهم؛ فهل يناسب للشرع

أن ينقض مشاهدتهم تلك عند المخاطبة معهم، أو يجاري معهم كأن ما عندهم أيضًا نحو من نفس الأمر؟

فلو كان هناك هين لين، لقلت له: إن الأصوب هو المماشاة معهم، وعدم النقض لمشاهدتهم، وفرضها أيضًا نحوًا من نفس الأمر؛ لأنه لو كان الشرع بنىٰ كلامه في الكونيات علىٰ الواقع حقيقةً؛ لبقي القرآن مكذبًا عندهم، إلىٰ أن يظهر لهم الواقع أيضًا كما هو عنده؛ كمسألة الحركة هذه، فإنه لو كان القرآن صدع بحركة الأرض مثلًا؛ لبقي مكذبًا فيمن مضوا من الفلاسفة؛ لعدم ثبوتها عندهم، وإن صدقه الناس اليوم.

وكذلك لو صرح بحركة الفلك لصدقه القدماء البتة، ولكن صار اليوم مكذبًا، لا يعتقد به أحد؛ لثبوتها عندهم بخلافه.

فأغمض القرآن عن نحو تلك الكونيات التي لا يتعلق له بها غرض في أعمالنا... ولا تحول تلك المباحث بينه وبين إيمانهم، ولعمري هذا هو الأحسن»[١] اهـ.

---

(١) «فيض الباري علىٰ صحيح البخاري»، تأليف: محمد أنور شاه ابن معظم شاه =

فلو توقف هؤلاء المخالفين المعاصرين وقالوا مثلما قال العلامة الكشميري - رحمة الله عليه -؛ لكان أولىٰ لهم.

أو أن يقولوا كما قال العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين - رحمة الله عليه -؛ إذ سئل - رحمة الله عليه - حول كيفية الجمع بين قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل: ٦١]، وما ثبت علميا من دوران الأرض.

فقال: «أنا شخصيا لا أستطيع أن أنفي ولا أثبت، ولا يتبين لي في القرآن ما يثبته أو ينفيه، ونجعل هذه موكولة إلىٰ الأمر الذي يحددها من الناحية الحسية الواقعية، وإذا ثبت حسًا ثبوتًا لا شك فيه أنها تدور؛ فليس في القرآن ما ينفي ذلك»[1] اهـ.

أو يقولوا كما قال الشيخ العلامة المفتي عبد العزيز بن باز - رحمة

=

الكشميري (صحيفة: ٥/ ٣٦٩).

(١) فتوىٰ مسجلة في الوجه الثاني من الشريط الأول من سلسلة «دروس المسجد النبوي»، لفضيلة الشيخ العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين - رحمة الله عليه -.

الله عليه – وقد سئل:

«السلام عليك ورحمة الله وبركاته، في الأيام الجارية تستضيف المملكة المؤتمر الخامس لرواد الفضاء، وفي صباح اليوم ألقىٰ أحدهم محاضرة في كلية العلوم وشاهدنا جميعًا عظمة الخالق عَزَّوَجَلَّ في هذا الكون العظيم، شاهدنا الكرة الأرضية وهي تسبح في الفضاء الواسع، ولم يعد هناك أدنىٰ ريب بأن الأرض والأفلاك والشمس وجميع مكونات الفضاء في حركة دائمة مستمرة، ويصادمنا بعض أعداء هذا الدين والحاقدين عليه بآراء بعض العلماء الذين ينكرون فيها بأن الأرض تدور؛ مما يجعلهم يستغلون هذه الآراء لمقت علماء الدين وطلبة العلم. حبذا لو تكرمتم بتسليط الضوء علىٰ وجهة نظر الشرع في هذه القضايا الفلكية الكونية».

❁ جواب الشيخ – رحمة الله عليه –:

«الله جَلَّوَعَلَا أخبرنا أنه جعل الأرض قرارًا، وأرساها بالجبال وثبتها، وجعلها قرارًا لعباده؛ عليها يسيرون، وعليها ينامون، ويزرعون

الأشجار، وفي بحارها كذلك يعملون ما يعملون لطلب الرزق، فإذا زعم زاعم أو صور مصور أنها تسبح في الفضاء؛ لا نظن بذلك أن يكون صادقًا، سواء كان شيوعيا أو نصرانيا أو يهوديا أو مسلمًا.

كلام الله أصدق من الجميع، ويمكن أن يتصور الشيء أنه يدور أو يسبح في الحركة وليس الأمر كما قال، إنما هو في رأي الرائي، وهو بعيد عنه لا يلمسه، ولا يتيقن ما يقوله هؤلاء...

قد أخبر الله عنه أنه يتحرك ؟.

هو كما أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وما شاهده الناس من كواكب هو كما أخبر... وأما ما زعمه الزاعمون بأن هذا يدل على أن الأرض تدور، وأنها تسبح في الفضاء، وأنها متحركة، والله يقول: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٦٤]، ويقول: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]؛ فبين سبحانه وتعالىٰ أنه ثبتها بالجبال وأرساها، وجعل لها أوتادًا.

فيجب التمسك بهذا، ونقبل بهذا، وأنها لا تميد ولا تضطرب ولا

تدور، ولو دارت لأحس بها العباد... فلو زلازل قليلة لعرفها الناس.

وربما هلك من حولها إذا عمت الزلزلة، وتهدمت البيوت، وسقطت الأشجار، وهلك الناس...

هذا الذي يحكيه الناس من هؤلاء الفضائيين وغيرهم، ويزعمون أنها تدل علىٰ حركة الأرض ودورانها، ليس لنا أن نسلم لهم بذلك، ولا يمكن أن نسلم لهم ذلك إلا بدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أو شيء نلمسه بأيدينا ونراه بأبصارنا ونعقله، لا شبه فيه.

فإذا وجد ذلك أمكن تأويل ﴿أَن تَمِيدَ﴾ بالاضطراب الذي يضر الناس، والحركة التي لا تضر الناس بالدوران وغيره؛ لا تخالف الميد الذي ذكره الله.

أما أن نفسر الميد بالاضطراب فقط، وأن الأرض تدور وتتحرك، ولكن ليس ميدًا؛ فهذا يحتاج إلىٰ دليل.

ومن قنع بذلك ورأىٰ وشاهد واعتقد؛ لا يضره ذلك، ومن لم يعتمد ذلك ويخالف ذلك؛ لا يضره اعتقاده الذي يراه صحيحًا ويراه

موافقًا لكتاب الله.

وكل واحد له اعتقاده؛ فمن اعتقد ما أراه الله من كتاب الله ... ومن شاهد أشياء وتيقنها يقينًا، وأن هناك حركة لا تمنع وصف الأرض بأنها غير مائدة، وأن لها دورانًا خاصا لا ينافي كونها قرارًا، ولا ينافي كونها ... بالجبال، ولا ينافي كونها لا تميد، فلو تيقن هذا وعرفه بقلبه وصدقه بعينه؛ فلا لوم عليه، وليس له أن يلوم علىٰ الآخرين، وليس له أن يقدح في الآخرين.

لأنه لم يعلم ما يعلمون، وكل له علم، كما أن من علم حكم الفعل الفلاني هو التحريم أو الوجوب، والآخر أشكل عليه، لا؛ ليس له أن يلوم علىٰ من علم.

فمن علم حجة علىٰ من لم يعلم، وكل له حجته وكل له دليل ... وقد كتبت في هذا كتابًا من عدة سنوات أعتقد بأنها قارةً كما قال الله، وأنها لا تدور ولا تتحرك، وهي ثابتة ... أهل العلم في ذلك، ومن زعم خلاف ذلك؛ فإن كان متيقنًا فلا لوم عليه، وله ما اعتقد، ولا يلزمنا أن

نوافقه ونقلده، ولا يلزمه أن يقلدنا، ومن قال بقولنا، نعم»[1] اهـ.

أما أن يستدلوا بأدلة غاية ما فيها أنها كما قال العلامة الألباني:

«أما ما يقال أو ما يستدل به من الآيات كجعل الله عَزَّوَجَلَّ الجبال: ﴿رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وكـ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠] ونحو ذلك من الآيات.

فهي في الحقيقة لا تنهض لإبطال هذه الحقيقة العلمية الكونية من جهة، بل لعل بعضها تكون حجة على المستدلين بها» اهـ.

يقول هذا الكلام وهو الذي قال قبله مباشرة عن كلامه هو:

«هذا أقوله؛ فإن صح فبها ونعمت، وإن لم يصح فأقل ما يقال: أنه لا يوجد في القرآن - كما قلت آنفًا - ولا في السنة ما ينفي هذه الحقيقة العلمية» اهـ.

---

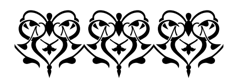
(١) فتوى مرئية على «يوتيوب»، للعلامة ابن باز، حول دوران الأرض، بعنوان: «الشيخ ابن باز: الأرض لا تدور و لا تتحرك، بل هي ثابتة»، والنقاط المكتوبة بين كلمات الفتوى هي كلمات لم أفهمها؛ بسبب ضعف جودة الصوت في الملف المرئي على الموقع.

ولكن لا بأس، فغاية ما هنالك أن علماء قد اجتهدوا في مسألة اجتهادية لا ينبني عليها اعتقاد ولا عمل، والمنظور والملاحظ علىٰ علماء الملة أنهم لا يهملون الواقع؛ كما مر من كلام العلامة محمد بن صالح العثيمين ولا يتحجرون علىٰ قول ما دام الشرع لا يخالفه، بل تجدهم يواكبون ما هنالك من علوم، وكيف لا يفعلون ومصدر أكثر العلوم وأصلها قد خرج من بلاد العرب في نهضتها التي سبقت النهضة الصناعية في أوربا؟!

فتجدهم قد أجمعوا علىٰ كروية الأرض، في الوقت الذي توصلت فيه العلوم إلىٰ ذلك، وها هم يزداد عدد من يقول بدوران الأرض منهم في هذا الزمان مواكبةً للعلوم ومراجعة لمعاني النصوص، لا انقيادًا للعلم وإهمالًا للدين، وإنما يوافقون الحس والعقل الذي لا يخالف الدين.

وربما ظن أحدهم أن آية معينة تواكب قولًا قد انتشر في وقت ما من القرون الماضية، وكان ظنه علىٰ خلاف معنىٰ الآية، كما في مسألة

دوران الأرض؛ فهذا لا يجعله في حرج أبدًا، إذا اجتهد فتوصل إلىٰ ذلك، ومعلوم أن المجتهد الذي قد حصل أدوات الاجتهاد له من الأجر ما له وإن اخطأ.



وليكن

إن قال قائلهم: لم تأت بنص صريح واضح قطعي الدلالة يقول بأن الأرض هي التي تدور.

قلنا له: ومن فرض علينا أن نأتي بنص دليل قطعي الدلالة في مثل هذه المسائل؟! فالقرآن الكريم ليس كتابًا في الفلك لابد أن تذكر فيه أمثال هذه القواعد.

وأما ما أوردناه فكان مما يستدل به علىٰ جواز كون الأرض هي التي تدور، وقد أوردنا آيات شبه واضحة تدل علىٰ ذلك.

فإن أبىٰ المجادل المخاصم قلنا له: وليكن ما تقول صحيحًا، فإن ما استدل به بعض العلماء علىٰ ثبات الأرض، وأنها لا تدور؛ ليس دليلًا قطعيا يحسم المسألة.

وإن كان يدل دلالة ولو يسيرة؛ فإننا نعود إلىٰ قواعد أهل العلم في التعامل مع مثل هذه النصوص.

ولنرجع الآن إلىٰ قواعد شيخ الإسلام التي ذكرها في كتابه «درء تعارض العقل و النقل»: «وحينئذ فنقول: الجواب من وجوه؛ أحدها:

إن قوله: إذا تعارض النقل والعقل:

إما أن يريد به القطعيين؛ فلا نسلم إمكان التعارض حينئذ.

وإما أن يريد به الظنيين؛ فالمقدم هو الراجح مطلقًا.

وإما أن يريد به ما أحدهما قطعي؛ فالقطعي هو المقدم مطلقًا، وإذا قدر أن العقلي هو القطعي؛ كان تقديمه لكونه قطعيا، لا لكونه عقليا.

فعلم أن تقديم العقلي مطلقًا خطأ، كما أن جعل جهة الترجيح لكونه عقليا خطأ» اهـ[1].

ولن نطبق نحن القواعد العقلية الصحيحة التي قررها شيخ الإسلام علىٰ ما استدلوا به من آيات علىٰ ثبات الأرض وعدم دورانها هذه المرة، ولكن سنترككم مع تطبيق الشيخ العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين - رحمة الله عليه -، وهو من القائلين بأن الشمس هي التي

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٨٦، ٨٧).

تدور حول الأرض، وبحركتها - أي: الشمس - يكون النهار والليل:

❁ **يقول - رحمة الله عليه - وقد سئل عن دوران الأرض؛ فقال:**

«**أما ما يتعلق بسؤاله:** فإنه سأل عن عدة أشياء؛ سأل هل للأرض حركتان أم لا؟

وهل هناك آيات تدل علىٰ ذلك أم العكس؟

فأقول:

إن البحث في هذا من أمور العلم، وليس من الأمور العقدية التي يجب علىٰ الإنسان أن يحققها ويعمل فيها ويعمل بما تقتضيه الأدلة؛ ولهذا لم يبين هذا الأمر في القرآن الكريم علىٰ وجه صريح لا يحتمل الجدل؛ فمن الناس من يقول: إن للأرض حركتين؛ حركة تختلف بها الفصول، وحركة أخرىٰ يختلف بها الليل والنهار، ويقول: إن قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] يدل علىٰ ذلك.

ووجه الدلالة عنده: أن نفي المَيَد دليل علىٰ أصل الحركة؛ إذ لو لم يكن أصل الحركة موجودًا؛ لكان نفي الميدان لغوًا من القول لا فائدة منه.

ويقول: إن هذا دال علىٰ كمال قدرة الله؛ أن تكون هذه الأرض، وهي هذا الجرم الكبير تتحرك دون أن تميد بالناس وتضطرب، مع أن الله عَزَّوَجَلَّ إذا شاء حركها، فحصلت الزلازل والخسوفات.

ومن العلماء من يقول: لا؛ الأرض لا تتحرك، بل هي ثابتة؛ لقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [الملك: ١٦]؛ أي تضطرب، ولقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ [البقرة: ٢٢]، ولأن الله تعالىٰ جعل الأرض قرارًا يقر الناس عليه، وهذا ينافي أن تكون لها حركة.

وأيا كان هذا أو هذا؛ فإن إشغال النفس بذلك ليس ذلك فيه فائدة.

فيقال: إن كانت تتحرك، وهي في هذا القرار التام؛ فهذا دليل علىٰ تمام قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كانت لا تتحرك فالله تعالىٰ هو الذي خلقها وجعلها ساكنةً لا تتحرك.

لكن الشيء الذي أرىٰ أنه لا بد منه: هو أن نعتقد أن الشمس هي التي تدور علىٰ الأرض، وهي التي يكون بها اختلاف الليل والنهار؛

لأن الله تعالىٰ أضاف الطلوع والغروب إلىٰ الشمس؛ فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧]؛ فهذه أربعة أفعال أضيفت كلها إلىٰ الشمس: «إذا طلعت»، «وإذا غربت»، «تزاور»، «تقرض»؛ كلها أفعال أضيفت إلىٰ الشمس، والأصل أن الفعل لا يضاف إلا إلىٰ فاعله، أو من قام به؛ أي من قام بهذا الفعل، فلا يقال: مات زيد، ويراد: مات عمرو. ولا يقال: قام زيد، ويراد: قام عمرو.

فإذا طلعت - ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت ﴾ -، ليس المعنىٰ أن الأرض دارت حتىٰ طلعت حتىٰ رأينا الشمس؛ لأنه لو كانت الأرض هي التي تدور، وطلوع الشمس يختلف باختلاف الدوران لا تقول: إن الشمس طلعت؛ بل يقال: نحن طلعنا علىٰ الشمس، أو الأرض طلعت علىٰ الشمس.

وكذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قصة سليمان: ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ أي الشمس ﴿بِٱلْحِجَابِ ﴾ [ص: ٣٢]، ولم يقل: حتىٰ

توارىٰ عنها بالحجاب.

وقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأبي ذر عند غروب الشمس: «أتدري أين تذهب؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب فتسجد تحت العرش**»؛ فأضاف هذا إلىٰ الشمس.

فظاهر القرآن والسنة: أن اختلاف الليل والنهار يكون بدوران الشمس علىٰ الأرض، وهذا هو الذي يجب أن نعتقده ما لم يوجد دليل حسي قاطع يسوغ لنا أن نصرف النصوص عن ظواهرها إلىٰ ما يوافق هذا النص القاطع.

وذلك لأن الأصل في أقوال الله ورسوله أن تكون علىٰ ظاهرها، حتىٰ يقوم دليل قاطع علىٰ صرفها عن ظاهرها.

لأننا يوم القيامة سنسئل علىٰ ما تقتضيه هذه النصوص بحسب الظاهر، والواجب علينا أن نعتقد ظاهرها، إلا إذا وجد دليل قاطع يسوغ لنا أن نصرفها عن هذا الظاهر»[1] اهـ.

---

(١) فتوىٰ مسجلة ومفرغة بعنوان: «هل صحيح أن للأرض حركتين؟ وأين مكان الجنة =

انتهىٰ كلامه إلىٰ تطبيق قواعد شيخ الإسلام؛ بأنه «إذا تعارض العقلي القطعي مع النقلي الظني؛ فإننا نقدم العقلي القطعي؛ لا لكونه عقليا ولكن لكونه قطعيا»، فالنقل لا يتناقض أبدًا مع ما هو قطعي.



=

والنار؟»، لفضيلة الشيخ العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين - رحمة الله عليه -، علىٰ موقع الشيخ الرسمي علىٰ شبكة الإنترنت.

أتدري أين تذهب الشمس؟

مما يثيره الملاحدة وأعداء السنة فيما يخص النصوص التي تتناول دوران الأرض وحركتها، بشكل مباشر أو غير مباشر؛ حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والحديث في الصحيحين: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنَ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]»(١).

وهذا الحديث يستشكل عليه الملاحدة وأعداء السنة باستشكالات ليس لها وجود إلا في أذهانهم، التي لم تتعلم كيف تفهم النصوص

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه

الشرعية، بل كيف تقرؤها.

ومن هذه الاستشكالات ما يلي:

١- الاعتراض علىٰ سجود الشمس، وأنه غير ثابت علميًّا!!

٢- سؤالهم: كيف تخرج الشمس من مدارها ولا يرصد العلم ذلك؟

٣- كيف تسجد بعد الغروب، وهي تغرُب في كل ثانية عن قطر من الأقطار وتُشرق في غيره؟

٤- طلوع الشمس من مشرقها أو مغربها ليس له علاقة بحركة الشمس، فكيف لما ترجع الشمس من مكانها تطلع من مغربها؟

وفيما مر من اعتراضات إشارة واضحة إلىٰ خلل في قراءة النص الشرعي، بل خطأ في فهم الكلام العربي! ولكن سنُعرض عن ذلك الآن، وسيظهر للقارئ موطنُ الخلل وسبب الوقوع فيه بعد حين...

والآن فلنبدأ في تفنيد مزاعمهم الباطلة، ومن باب نسبة العلم إلىٰ أهله

ومعرفة الفضل لأهل الفضل، نبدأ بفتوىٰ العلامة الألباني رحمة الله عليه، مع العلم أنه - رحمة الله عليه - لم يتناول المسألة ببحث مستقل، فضلًا عن أن يكون قد صنَّف فيها مصنفًا أو ذكرها في بحث، ولكن تعرَّض لها بفتوىٰ، لما سأله سائل في بعض مجالسه: قال السائل:

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]، ما هو تأويل هذه الآية؟

الشيخ: تأويلها كما جاء في الحديث مستقرها حين تطلع الشمس من مغربها.

لكن هذه الآية ليس لها علاقة بموضوع كروية الأرض، وهل هي ساكنة أم متحركة، الآية – يعني – خبر عن غيب سيقع فيما يأتي من الزمن.

السائل: إذن المستقر وقته يوم القيامة، وحديث: «**كل يوم تستأذن تحت العرش وتسجد**».

الشيخ: نعم، هذا حديث صحيح، وهو لا يتعارض مع الحقائق الشرعية (الكونية)؛ لأنها دائمًا تحت العرش، ولكن بالنسبة لبلد معين،

وهي المدينة؛ حيث كان الرسول ﷺ يتكلَّم فيها، لما قال لأبي ذر: «**أتدري أين تذهب؟**».

أخبره الرسول بأنها تذهب وتسجد تحت العرش حينما تغرب بالنسبة للمدينة، وهذا هو المعنىٰ الذي يريده الإسلام: بأنها دائمًا تغرب في كل بلد في كل لحظة، لكن هنا المقصود غروب خاصٌّ بالمدينة المنورة، وسجودها هو في ذلك الوقت الذي يتناسب مع توقيت المدينة، وليس مع كل بلد في الدنيا.

السائل: وهل للحديث علاقة بتوقف الشمس؟

الشيخ: بتوقف الشمس؟!

الشيخ: هذا ليس بالضروري؛ لأن الإنسان العادي قد يسجد وهو ماشٍ، يستحضر صلاة الخوف، لها صورتان: صلاة الخوف، وصلاة الخوف الشديد؛ صلاة الخوف الشديد ليس لها ركوع أو سجود كما هو المعهود، وإنما هو الإيماء بالرأس، المسلمُ يقاتل بالسيف الكافر وقد أدركه الوقت، ويأتي إلىٰ عدوه؛ هذا بالنسبة إلىٰ الإنسان فما بالك

بالنسبة لكوكب [أو النجم]، ربنا عَزَّوَجَلَّ أعلم بحقيقته». اهـ[1].

وبعد عرض فتوىٰ العلامة الألباني - رحمة الله عليه - نرجع لحديث رسول الله ﷺ:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنَ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]»[2].

وقد مر من كلام العلامة الألباني - رحمة الله عليه - الجواب علىٰ الاعتراضات الثلاثة الأُوَل:

١ - الاعتراض علىٰ سجود الشمس وأنه غير ثابت علميًّا!!

(١) المصدر: فتوىٰ للشيخ الألباني علىٰ الإنترنت بعنوان «ما تفسير قوله تعالىٰ ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه.

٢- سؤالهم: كيف تخرج الشمس من مداراها ولا يرصد العلم ذلك؟

٣- كيف تسجد بعد الغروب، وهي تغرب في كل ثانية عن قطر من الأقطار وتُشرق في غيره؟

فبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الإنسان نفسه يسجد في المعركة وهو يحارب في صلاة الخوف الشديد، وأن السجود تتفاوت صوره وأشكاله، وليس كله ما يتبادر في الذهن من وضع الجبهة في الأرض تجاه القبلة. فإذا كان السجود تتفاوت صوره عند الكائن الواحد وهو الإنسان، فكيف بالكائنات الأخرىٰ؟!

وإذن فسجود الشمس لا يلزم منه ما يُتصور، بل قد تسجد وهي في مدارها، وهي في دورانها دون مزيد حركة. وفي هذا أيضًا ردٌّ علىٰ السؤال الثاني الخاص بخروجها من مدارها!

وأما عن السؤال الثالث؛ فقد أجاب عنه - رحمة الله عليه - بقوله: «أخبره الرسول بأنها تذهب وتسجد تحت العرش حينما تغرب بالنسبة للمدينة، وهذا هو المعنىٰ الذي يريده الإسلام: بأنها دائمًا تغرب في كل

بلد في كل لحظة، لكن هنا المقصود غروب خاصٌّ بالمدينة المنورة، وسجودها هو في ذلك الوقت الذي يتناسب مع توقيت المدينة، وليس مع كل بلد في الدنيا».

وإذن فموطن سجودها هو في مدارها، والمدار كله تحت العرش، فأينما تسجد فهو سجودٌ تحت العرش، وكيف لا يكون مدارها كله تحت العرش، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؟!

❁ يقول العلامة السعدي في تفسيره لهذه الآية:

«وهذا يدل علىٰ كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السموات والأرض علىٰ عظمتهما وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالىٰ، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما

أودع، والذي قد أمسك السموات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب؟!» اهـ.

وقد قال النبي ﷺ: «**ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة، وفضل العرش علىٰ الكرسي كفضل الفلاة علىٰ الحلقة**»(١).

﴿ فالعرش هو سقف المخلوقات جميعًا:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو رب العرش العظيم: أي هو مالك كل شيء وخالقه؛ لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيها وما بينهما تحت العرش، مقهورين بقدرة الله تعالىٰ، وعلمه محيط بكل شيء، وقدره نافذ في كل شيء، وهو علىٰ كل شيء وكيل» اهـ(٢).

ولعل ذكر رسول الله ﷺ لكلمة: «**تسجد تحت العرش**»؛ ليعلم

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه تحت رقم صحيحه ٣٦١ وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة

(٢) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله (٢/ ٤٠٥).

السامع خضوع الشمس لله جَلَّ وَعَلَا.

وقد جاء في كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي؛ ما نصه:

«وَالْخَبَرُ عَنْ سُجُودِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ قَدْ جَاءَ فِي الْكِتَابِ، وَلَيْسَ فِي سُجُودِهَا لِرَبِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ مَا يَعُوقُهَا عَنِ الدَّأْبِ فِي سَيْرِهَا وَالتَّصَرُّفِ لِمَا سُخِّرَتْ لَهُ»[1].

وفيما مر - مما نقله الإمام البيهقي - إشارة إلىٰ قول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾ [الحج: ١٨].

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:

«وقوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾ [الحج: ١٨]: إنما ذكر هذه علىٰ التنصيص؛ لأنها قد عُبدت من دون الله، فبَيَّن أنها تسجد لخالقها، وأنها مربوبة مسخرة: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى

(١) انظر كتاب الأسماء والصفات للبيهقي صفحة ٤٩٩

خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧].

وفي الصحيحين عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتدري أين تذهب هذه الشمس؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت**». انتهىٰ كلامه - رحمة الله عليه -.

وأما السؤال الرابع والاستشكال الأخير عند من لم يفهم الحديث علىٰ وجهه ما يلي:

أن الحديث ربط غروب الشمس وشروقها بحركة الشمس، وقد أثبت العلم الحديث أن الشروق والغروب، والليل والنهار؛ مرتبطان بدوران الأرض حول محورها.

وجواب ذلك:

أن العلم الحديث وإن كان قد وصل إلىٰ أن دوران الأرض حول محورها هو ما يتسبب في اختلاف الليل والنهار، إلا أنه لم يقل أحد من العلماء - بل من العقلاء - أن الأرض لو ظلت تدور حول محورها مع

عدم وجود الشمس في مكانها ستظل حركة الليل والنهار كما هي.

فتعاقب الليل والنهار، والشروق والغروب؛ يقع بسبب دوران الأرض حول محورها أثناء وجود الشمس في مكانها الصحيح في مدارها.

فالعلم الحديث توصَّل إلىٰ أن الشمس أيضًا تدور في مدار لها كبقية الأجرام السماوية، وأن كواكب المجموعة الشمسية تابعة للشمس تدور حولها، ولا تخرج عن جاذبيتها، أو قُل: عن مدارها. وأن الأقمار تؤثر في سرعة دوران الكواكب حول نفسها، بل أي عامل خارجي قد يؤثر علىٰ دوران الكوكب حول نفسه، كما جاء في موقع الوكالة الفضائية «ناسا» نقلًا عن موقع (Space.com) ما نصه:

«فكوكب الزهرة يدور في الاتجاه المعاكس للأرض... بالنسبة إلىٰ كوكب الزهرة ربما تسبب التصادم في تغيير جهة دورانه. أو ربما بدأ بالدوران تمامًا مثل الكواكب الأخرىٰ، ولكن بسبب تصادمه مع جُرم آخر غير اتجاهه. أو مع مرور الوقت تسبب سحب جاذبية الشمس

للغيوم الكثيفة الموجودة علىٰ كوكب الزهرة، إلىٰ جانب الاحتكاك بين نواة الكوكب ووشاحه، إلىٰ انقلاب جهة دورانه. تشير دراسة نشرت عام ٢٠٠١ في مجلة (Nature) إلىٰ أن تفاعلات الجاذبية مع الشمس وعوامل أخرىٰ قد تسببت في إبطاء دوران الزهرة، ثم دورانه في عكس اتجاهه.

... حتىٰ دوران الأرض يتباطأ، فجاذبية القمر تطبق سَحبًا علىٰ الأرض بطريقةٍ تبطئها دومًا. وقد أظهر تحليل أُجري عام ٢٠١٦ في مجلة Proceedings of the Royal Society A لكسوفات قديمة أن دوران الأرض قد تباطأ بنحو ٦ ساعات خلال آخر ٢٧٤٠ سنة. ويعطي ذلك ١.٧٨ ميلي ثانية فقط في القرن»[١].

انتهىٰ ما جاء في موقع ناسا بالعربية، وثمة توضيح: أن ما مر من ذكر تباطؤ الأرض بنحو ٦ ساعات في تلك المدة الطويلة لم يحدث بسبب حدث كبير، وإنما حدث بسبب جاذبية القمر، والتي لا تساوي شيئًا في

---

(١) انظر: **https: //www.space.com/٤١٦٢٦-why-does-earth-rotate.html**

جاذبية الشمس، فكيف لو قورنت بحدث مثل توقف الشمس عن دورانها؟!

وقد مر بيان أن كوكبًا بحجم الزهرة قد تباطأ حتىٰ دار في اتجاه معاكس، وإذن فوقوع مثل هذه الظواهر وارد، بل ومرتبط بالجاذبية؛ كما نص علىٰ ذلك موقع ناسا بالعربية.

ونعود لحديث رسول الله ﷺ إذ يقول:

«**وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]».

وقد علَّمنا **الإمام الألباني** رحمه الله درسًا هامًّا في فتواه المذكورة آنفًا، في كيفية التعامل مع النصوص وفهمها، فمن أجل فهم النص ينبغي الرجوع إلىٰ النص، لا إلىٰ أفهام من يقرءون النص؛ إما بتحامل علىٰ النص، أو بتسرع دون سبر أغوار الألفاظ والكلمات للخروج بالمعنىٰ الصحيح للنص.

في الحديث أن الشمس تطلع من مغربها، حينما تؤمر أن ترجع من حيث جاءت «**يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا**».

إذن نحتاج أن نرجع مرة أخرىٰ للنص، لكي نفهم: **من أين جاءت؟!**

﴾ وفي بداية الحديث جواب شافٍ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ**».

فإذا كانت الشمس تسجد في كل يوم بعد غروبها عن مدينة رسول الله ﷺ؛ فإنها ترجع كما كانت قبل سجودها، أي: ترجع حيث غربت عن المدينة فتطلع من مغربها، وأما عن كيفية وقوع ذلك: أهو برجوع الشمس في مدارها بالاتجاه المعاكس، فترجع معها الأرض حيث إن الأرض تابعة لها؟! أم أنها - أي: الشمس - ستتحرك في حركة لا نعلمها حتىٰ تظهر في موضع غروبها علىٰ المدينة مرة أخرىٰ طالعة علىٰ الناس من مغربها؟! فهذا لا يعلم كيفيته إلا الله. وقد مر نقل كلام علماء المادة أن دوران الكواكب حول نفسها تؤثر فيه العوامل الخارجية من

جاذبية الأقمار أو الاصطدامات أو ما أشبه، فكيف برجوع نجم المجموعة الشمسية وتحركه حركة مفاجئة؟!

وإذن فأيما كانت الطريقة التي ترجع بها الشمس آنذاك إلىٰ موضعها «غروبها علىٰ مدينة رسول الله ﷺ»؛ فهي آية من آيات الله جَلَّ وَعَلَا.

وليس فيه أي دلالة علىٰ أنه في الإسلام نصٌّ يقول أن تعاقب الليل والنهار في المعتاد ناتج عن دوران الشمس حول الأرض. ومن زعم ذلك فهو متقوِّل علىٰ النص، ويحمِّله مالا يتحمل، ويُلزِمُه بما لم يلتزم به؛ إذ النصُّ يتكلم عن أمرٍ خارق للعادة التي اعتاد الناس عليها.

فيبقىٰ طلوع الشمس من مغربها خبَرٌ أخبر به دين الإسلام في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ، لا يستطيع أحد أن يُكذِّبه؛ لأن الله وصفه سبحانه بقوله في القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد تكاثرت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ [في] أن المراد

ببعض آيات الله: طلوع الشمس من مغربها، وأن الناس إذا رأوها آمنوا فلم ينفعهم إيمانهم، ويُغلق حينئذ بابُ التوبة»[1]. انتهىٰ كلامه رحمة الله عليه.

فطلوع الشمس من مغربها آية من آيات الله؛ فهو سبحانه من جعلها تطلع من مشرقها بقوانين صارمة، وبضبط متقن بديع، وهو القادر سبحانه علىٰ تحويلها حين طلوعها من المشرق إلىٰ المغرب بأمر لا تستطيع أن تتخلف عنه، سواءٌ وافق ذلك القوانين الفيزيائية للكون أو خالفها.

ونعود لهؤلاء الذين ينشرون الشبهات؛ إما بجهل أو بمكر:

لقد ظهر لكل قارئ كيف يقع هؤلاء المستشكلون في مثل هذه المغالطات الواضحة، ويُقَوِّلون النص ما لم يقله.

فلو أن مسلمًا عرض عليه ملحدٌ شبهةً، نصها: «كيف تسجد الشمس وهي لا تخرج عن مدارها؟!»، فليس علىٰ المسلم أن يُرهق

(١) انظر: «تفسير السعدي» (ص٢٨١).

نفسه بالبحث لمجرد سماعه كلمة أو كلمتين من ملحد أو غير ملحد، وإنما عليه أن يقول له بكل هدوء: «أين في النص أن الشمس تخرج من مدارها؟!!»

وكذلك لو سأله: كيف تسجد والسجود يستلزم حركات معينة؟! فما عليه إلا أن يسأله: «أين في النص أن كل سجود وأي سجود يستلزم حركات معينة؟!»

وكذلك لو سأله: كيف تسجد تحت العرش بعد غروبها وهي تغرب في كل لحظة؟! فما عليه إلا أن يُجيبه: «أين في الحديث أنها تسجد بعد كل غروب؟!»

وكذلك لو قال له قائل: إن الرسول ﷺ يقول: أن الشمس هي التي تدور حول الأرض، وأن الأرض ثابتة! فما عليه إلا أن يقول: أرني ذلك بدلالة قطعية داخل النص، أين ذلك في الحديث؟!... إلخ.

إن أكبر مشكلة تقف أمام عامة المسلمين اليوم؛ هي أنهم يُهجَم عليهم بالشبهات قبل أن يتعلموا أساسيات الدين وأصول الملة، فضلًا

عن معرفة كيفية النجاة من أخطاء الصديق الجاهل في فهم النصوص، فضلًا عن العدو الماكر الذي يتعمد استخدام المغالطات الحوارية لتشكيك المسلم في دينه.

فلتكن ذا عقلية نقدية لكل ما يطرحه لك أعداء دينك، فإذا قال لك قائل قولًا؛ فجاهد أولًا ألا تلقي له سمعَك، بأن تصون قلبَك من أن يُلقىٰ عليه الشبهات؛ فهي مُهلكة للعبد إذا ما تملَّكت قلبه وعقله، ولرُب شبهة تافهة قد قُتلت بحثًا يعرف جوابها من يطرحها عليك، ويستغل جهلك بجوابها؛ تكون سببًا في تشكيكك وزلزلة يقينك.

فكم من ملحدٍ يعرف أن لأكثر تساؤلاته أجوبة مفحمة، غير أن كبره ومكره يدعوانه إلىٰ نشرها علىٰ من لا يعلم لها جوابًا.

فصُن نفسك أولًا عن السماع لكل متشكك، فضلًا عن كل ملحد، فإذا ما سمعت فلتكن نقادًا، وسله دائمًا:

من أين فهمت هذا الفهم؟!

وأين قال النص ذلك بدلالة واضحة قطعية لا ظنية ولا تحتمل غير

هذا المعنىٰ؟!

وهل قال بذلك عالم من علماء المسلمين؟!

فإن أجاب علىٰ ذلك كله؛ فلتسأل:

أين الخطأ في ذلك؟!

وما هو المعيار الذي أوصلك إلىٰ الحكم بأن ذلك خلل في الدين وخطأ في الشرع؟!

ومن الذي وضع هذا المعيار؟!

وهل هو متغير بتغير الأزمان والأعراف؟!

إلىٰ آخر هذه التساؤلات، التي تُظهر لك **بعضَ حيل أهل المكر**، ممن اتخذوا من تشكيك المسلمين في دينهم مهنةً وحرفة يجمعون بها الأموال.. والله أسأل أن يحفظ علىٰ المسلمين دينهم، وأن يجنبهم الفتن ما ظهر منها وما بطن..آمين.



في عين حمئة

ومما يثيره الملاحدة حول النصوص الشرعية فيما يخص حركة الأرض ودورانها حول الشمس؛ فهمهم لقول الله جَلَّ وَعَلَا:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ [الكهف: ٨٣ - ٨٦]».

وموطن الشبهة في عقولهم؛ قوله تعالىٰ: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦].

فيزعمون أن القرآن الكريم يصف الشمسَ بأنها تغرب في عين حمئة علىٰ الحقيقة، وأنها هي التي تدور حول الأرض، تخرج - تُشرق - من عين حمئة - عين بها مياه ساخنة - وتغرب فيها مرة أخرىٰ!

وهذا من أعجب العجب، وفي غاية السخف؛ لأن سياق الآية

واضح جدًّا، وفيه - بعد غض الفهم والنظر عن سياق الآية - مغالطة أخرىٰ ستنكشف بعد حين.

يقول الإمام السعدي رحمة الله عليه - وهو من المتأخرين - في تفسيره لهذه الآية:

«وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها؛ لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبارُ علىٰ وجه يفيد العلم، فلهذا لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقَلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، بها صار له جند عظيم، ذو عَدَد وعُدَد ونظام، وبه تمكَّن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلىٰ مشارق الأرض ومغاربها، وأنحائها؛ فأعطاه الله ما بلغ به مغرب الشمس، حتىٰ رأىٰ الشمس في مرأىٰ العين، كأنها تغرب في عين حمئة، أي: سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها تغرب في نفس الماء وإن كانت في غاية الارتفاع». انتهىٰ كلامه، فلينظر في تفسير السعدي، تحت تفسير الآية (٨٦) من سورة الكهف.

ويقول الإمام البيهقي – وهو من المتقدمين – في كتابه «الأسماء والصفات»:

«وليس معنىٰ قوله: ﴿تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ سورة الكهف، آية: (٨٦)؛ أنّها تسقط في تلك العين فتغمرها، وإنّما هو خبر عن الغاية الّتي بلغها ذو القرنين في مسيره حتّىٰ لم يجد وراءها مسلكًا؛ فوجد الشّمس تتدلّىٰ عند غروبها فوق هذه العين، أو علىٰ سمت هذه العين، وكذلك يتراءىٰ غروب الشّمس لمن كان في البحر وهو لا يرىٰ السّاحل؛ يرىٰ الشّمس كأنّها تغيب في البحر، وإن كانت في الحقيقة تغيب وراء البحر، و(في) هاهنا بمعنىٰ فوق، أو بمعنىٰ علىٰ، وحروف الصّفات تبدّل بعضها مكان بعضٍ»[1].

وهذا الذي مر من كلام الإمام البيهقي، ومن تفسير الإمام السعدي، وبينهما قرابة الألف عام، هو كلام بدهي؛ لأن الخطاب في القرآن الكريم ليس خطابًا فلكيًّا، إذا ذُكر فيه جُرم من الأجرام السماوية فإنه

(١) انظر: كتاب الأسماء والصفات للبيهقي تحت باب بَابُ: مَا جَاءَ فِي الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ

يلزمه استخدام الألفاظ الفلكية! هذا لا يقول به عاقلٌ، بل إن المواقع المعنية بالفلك والأجرام السماوية فقط تستخدم ألفاظًا – علىٰ منطق هؤلاء المُدلسين – توقع بأكبر المؤسسات الفلكية في فخ القول بدوران الشمس حول الأرض؛ فهذا هو موقع «ناسا» بنسختيه العربية والإنكليزية يستخدم لفظة غروب الشمس أو (Sunset)، ومعلوم أن الشمس لا تغرب – بمنطق هؤلاء – وإنما حركة الأرض هي المسئولة عن الشروق والغروب، وإذن فالصواب أن يقال: غربت الأرض!! وبهذا تكون الوكالة الفضائية الشهيرة مدانة أيضًا.

وإذا أردت التأكد بنفسك؛ فما عليك إلا أن تكتب في محرك البحث (جوجل): "site: nasa.gov sunset". وستظهر لك جميع الروابط في الموقع التي كُتبت فيها هذه الكلمة، أو بها صور خاصة بها.

والموقع بالعربية: «site: nasainarabic.net غروب» وستظهر لك أيضًا جميع الروابط، وهي ليست مقالة أو اثنتين، بل هي بالعشرات.

إن ما جاء في القرآن الكريم بلسان العرب حاكيًا لهم ما وقع لذي

القرنين، وما رآه أمامه رأي العين؛ ليس فيه من قريب أو من بعيد أيُّ توصيف فلكي لحركة الأجرام في الفضاء، سواء كانت نجومًا كالشمس أو كواكب كالأرض، وهذا لم يخطر ببال أحدٍ من الإنس أو الجن، لا حين نزلت الآية وحتىٰ الآن؛ لأن سياق الكلام في ذكر قصة من قصص الأولين لا يتغير بمرور الزمان.

هذا أولًا، وثانيًا: إن كان هؤلاء يعتنقون مذهبًا يفسِّرون الكلام فيه تفسيرًا حرفيًّا – كالمترجم الإلكتروني الذي لا يفهم العبارات، فيترجم "اثنين من الفريق" كالتالي: "Monday from the team".

إن كان هؤلاء يريدون فهمَ القرآن بهذه الطريقة، ويظنون أنهم بذلك سينجحون في تشكيك المسلم في دينه؛ فعلينا أن نسألهم السؤال التالي:

لقد قال الله تعالىٰ في الآية موطن البحث: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ﴾ [الكهف: ٨٦].

إن قلتم أن معنىٰ الآية: أن الشمس تغرب حقيقة في عين حمئة؛ فلماذا لم تُكملوا الآية: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ﴾ [الكهف: ٨٦]؟! فهؤلاء القوم

علىٰ مذهبكم إما أنهم كانوا عند الشمس - ولم يحترقوا -، أو عند العين الكبيرة التي تستطيع أن تحوي الشمس، ولم يغرق أحدهم أو يحترق بحَرِّ الشمس التي تغرب في العين بجواره!

ولماذا لم يقف أحدهم مع قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠]؟!

إن دلالة النص واضحة لكل عاقل، وأما المتربصون فلا يرضىٰ الواحدُ منهم بألف دليل، كما قال الإمام الألباني - رحمة الله عليه -: «طالب الحق يكفيه دليل، وصاحب الهوىٰ لا يكفيه ألف دليل، الجاهل يُعلَّم وصاحب الهوىٰ ليس لنا عليه سبيل».

وأنا أدعي أني أعلم الأسبابَ التي من أجلها يتمسَّكون بهذه الطوام، التي تُشير إليهم بأصابع الرمي بالجهل والتدليس والحماقة، وأول هذه الأسباب أنهم لم يجدوا في القرآن ولا في صحيح السنة ما يشنِّعون به علىٰ دين الإسلام العظيم؛ فاضطروا إلىٰ مثل هذه السخافات ينشرونها بين الناس.

ومن هذه الأسباب أيضًا أنهم لا يُعولون علىٰ الباحثين، ولا المدققين، وإنما يعملون علىٰ نشر هذه الشبهات بين الشباب الصغار الذين تأثروا مؤخرًا بالنزاعات السياسية في الشرق الأوسط، وانشغل المسئولون عنهم بهذه النزاعات عن تعليمهم أصولَ دينهم، وفقدوا الثقة في العلماء والشيوخ بفعل فاعلٍ حتىٰ وقعوا في شباك هؤلاء؛ كالفريسة التي تظن في شباك الصياد أنها سبيل النجاة الوحيد، وكالشاة التي تخشىٰ الذئبَ وما ثمة من ذئب، ثم يأكلها الراعي بدم بارد!!

زيادة (في عين حمئة) في سنن أبي داود:

وقبل ختام هذا الفصل أردت التنويه علىٰ رواية رواها الإمام أبو داود في «سننه» لحديث أبي ذر - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -: «**أتدري أين تذهب الشمس؟**» السابق ذكره في الفصل السابق؛ الرواية جاءت تقريبًا بنفس السند بداية من «إبراهيم بن يزيد التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر»، ولكن اختلف الرواة فيما دون ذلك، وقد جاءت بمتن مباين عند الإمام أبي داود - رحمة الله عليه -، حيث جاء في لفظه:

عن أبي ذر، قال: كنت مع رسول الله ﷺ علىٰ حمار، والشمس عند غروبها، فقال: «**هل تدري أين تذهب؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تغرب في عين حمئة**»[1].

والحديث له وجهان:

الوجه الأول مقبول، وهو ما تناولناه في الفصل السابق، ورواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأحمد في مسنده، والترمذي في سننه.

ولفظ البخاري:

«عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال لي النبي ﷺ حين غربت الشمس: **أتدري أين تذهب؟** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **فإنها تذهب حتىٰ تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت. فتطلع من مغربها؛ فذلك قوله تعالىٰ:** ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ

(١) انظر سنن أبي داود تحت رقم ٣٩٩١

﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]»[1].

ولفظ مسلم:

عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس، فلما غابت الشمس قال: «**يا أبا ذر، هل تدري أين تذهب هذه؟**». قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنها تذهب فتستأذن...**»[2] الحديث.

ولفظ الترمذي:

عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: دخلت المسجد حين غابت الشمس، والنبي ﷺ جالس، فقال: «**يا أبا ذر، أتدري أين تذهب هذه؟**». قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنها تذهب تستأذن في السجود، فيؤذن لها...**»[3].

ولفظ الإمام أحمد:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب صفة الشمس والقمر تحت رقم ٢٩٦٠

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، تحت رقم ٤٢٠

(٣) أخرجه الترمذي في سننه باب «ماجاء في طلوع الشمس من مغربها» تحت رقم ٢٣٤٥

حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ الشَّمْسُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ...**»[1] الحديث.

وأما الوجه الثاني؛ فهو ما رواه أبو داود بلفظ: **(تغرب في عين حمئة)**، مع كون «البخاري ومسلم وأحمد والترمذي» رووا الحديث نفسه «عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر»، وجميعهم في السند عند أبي داود، غير أنه – أي: أبو داود – رواه من طريق «زيد بن هارون، عن **سفيان بن حسين**، عن الحكم بن عتيبة».

بينما جاء الوجه الأول عند الأئمة الأربعة (البخاري ومسلم وأحمد والترمذي) من طريق «أبي معاوية عن الأعمش».

وتلاحظ في سند الحديث – عند أبي داود – **سفيان بن الحسين**، وقد جاء عنه في «تهذيب التهذيب» ما يلي:

«قال العجلي: جائز الحديث، لا بأس به. وقال العقيلي: واسطي،

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده – مسند أبي ذر الغفاري «تحت رقم ٢١٣٥٢

سكن البصرة، مضطرب الحديث عن ابن شهاب، وهو في غيره أثبت. وقال الذهلي نحو ذلك قبله، وقال ابن حبان: كان يخطئ كثيرًا، فأما روايته عن الزهري فقد اختلطت عليه صحيفته» [1] اهـ.

وقد نقل الذهبي في «ميزان الاعتدال» أقوال الأئمة فيه، فقال:

«قال أحمد: ليس بذاك في الزهري. وقال عباس، عن يحيىٰ: ليس به بأس. وليس من كبار أصحاب الزهري. في حديثه ضعف...

وقال عثمان بن أبي شيبة: ثقة، لكنه مضطرب في الحديث قليلاً.

وقال ابن سعد: ثقة، يخطئ في حديثه كثيرًا.

وقال يعقوب بن أبي شيبة: ثقة، وفي حديثه ضعف.

وقال أبو حاتم: صالح الحديث، يكتب حديثه ولا يحتج به، وكنحو ابن إسحاق..» [2].

هذا من حيث ثبوت الحديث؛ فالثابت والصحيح هو ما رواه البخاري

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ٩٦/ ٤

(٢) انظر ميزان الاعتدال (٢/ ١٦٥)

ومسلم، وأحمد، والترمذي. وأما ما رواه الإمام أبو داود؛ ففيه نظر.

فرواية «**في عين حامية**»، أو «**في عين حمئة**»؛ إنما (تفرد بها الحكم بن عتيبة عن إبراهيم، والحكم – وإن كان ثقة – إلا أنه وصفه النسائي بالتدليس في «ذكر المدلسين» (رقم/ ١١)، وقال ابن حبان: «وكان يدلس». انتهىٰ من «الثقات» (٤/ ١٤٤)، ولم يذكر أحد ممن أخرج حديثه هنا أنه صرَّحَ بالتحديث، بل جاء عندهم جميعًا روايته بالعنعنة»[١] اهـ.

ومعلوم أن المدلس من أقسام الضعيف، وبذلك يتضح الفارق بين ما رواه الأئمة وما أورده الإمام أبو داود، وقد مر بيان ما في سنده من وجود «سفيان بن حسين، والحكم بن عتيبة»، ومخالفتهما لرواية الثقات الواردة في الصحيحين، وعند أحمد والترمذي.

وختامًا نقول:

لقد تكرر في القرآن ما يدل علىٰ أن الشمس تدور ولا تتوقف عن

(١) مستفاد من فتوىٰ رقم ١٧٦٣٧٥ بموقع الإسلام سؤال وجواب

الدوران أبدًا، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

قال الإمام السعدي: «﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ لا يفتران، ولا ينيان» اهـ.

قال ابن كثير: «﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ أي: يسيران لا يقران ليلًا ولا نهارًا» اهـ.

وقال الإمام الطبري: «يقول تعالىٰ ذكره: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وفعل الأفعال التي وصف ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [إبراهيم: ٣٣] يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار؛ لصلاح أنفسكم ومعاشكم ﴿دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣] في اختلافهما عليكم» اهـ.

والآيات حول هذا المعنى كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ

ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان: ٢٩، ٣٠].

وقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨ - ٤٠].

وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: ٥].

ولم يقل أحد من علماء المسلمين - بداية من الصحابة المكرمين إلىٰ يومنا هذا - أن الإسلام جاء بأن الشمس تستوعبها عين حامية موجودة في الأرض، فتغرب فيها ثم تخرج منها عند الشروق! ولم يستنكر أحد من المشركين - بداية من العهد المكي مرورًا بالعهد

المدني، والخلافة الراشدة وما بعدها -؛ لم يستنكر أحدٌ علىٰ الإسلام أنه أخبر عن الشمس أنها تغرب حقيقة في عين حمئة! حتىٰ ظهرت ميليشيا الإلحاد في هذا العصر الذي انتشر فيه الجهل بين شباب المسلمين؛ فاستغلته هذه الميليشيات الحاقدة علىٰ الإسلام وأهله؛ فاضطررنا إلىٰ بيان ما كان واضحًا كالشمس للمشرك قبل المسلم، وللجاهل قبل العالم؛ فإلىٰ الله المشتكىٰ.



وفي الختام

كلمة، أردت أن أقول لهؤلاء المشنعين علىٰ بعض علماء دين الإسلام العظيم: ارْبَعُوا علىٰ أنفسكم، فما الذي وقع؟! وما الذي كان؟!

لقد صدر من علماء المادة قديمًا، ويصدر حديثًا؛ ما يُضحك الثكلىٰ، وهم أهل تخصص وتفرُّغ لما يقولون ويقررون وينشرون، ثم يتراجعون راغبين، أو يرجعون مرغمين عن أقوالهم؛ لاكتشاف بطلانها، وأنها منافية للعقل والواقع.

لقد كان الفلاسفة من علماء الفلك يقولون بأن الكون ليس له بداية، وقد أثبت العلم أن هذا الكلام باطل، وأن الكون له بداية، كما أنه سيكون له نهاية، ومع ذلك لم نسمع من ملاحدة اليوم من يتكلم في أشخاصهم، ويتهمهم بما يتهمون به علماء الدين.

مع كون هؤلاء الذين قالوا بنظرية استقرار الكون متخصصين في علم الفلك وعلوم المادة، ويتكلمون في مجالهم العلمي الذي درسوه، ومع ذلك وقعوا في مثل هذا الخطأ الشنيع!

فكيف يكون هذا اللوم الشديد علىٰ بعض علماء دين الإسلام العظيم وهم متخصصون في العلوم الشرعية، وليسوا من علماء الفلك، ولا علماء الجيولوجيا، وما أشبه؟!

في الوقت نفسه: يعتذرون فيه لعلمائهم الذين قالوا بالكون المستقر، وعدم تمدد الكون، وما أشبه!!

ولكن ما حيلتنا مع أقوام لا يحركهم إلا الهوىٰ والغرض، ومعلوم أن الغرض مرض؛ فمن كان ذا غرض لن يكون يومًا من الأيام حياديًّا، بل ستجده منحازًا لغرضه، فكيف لو كان غرضه نفي وجود الإله الخالق العظيم؟!

فحدِّث عن الأهواء والضلالات ولا حرج، فنسأل الله السلامة والعافية.

ونسأله سبحانه أن يحفظ شباب المسلمين وكهولهم من شبهات أهل الضلال والزيغ؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وكتب

مصطفى حسين عوض

عفا الله عنه وعن والديه
وبارك له في أهله وذريته
آمين

